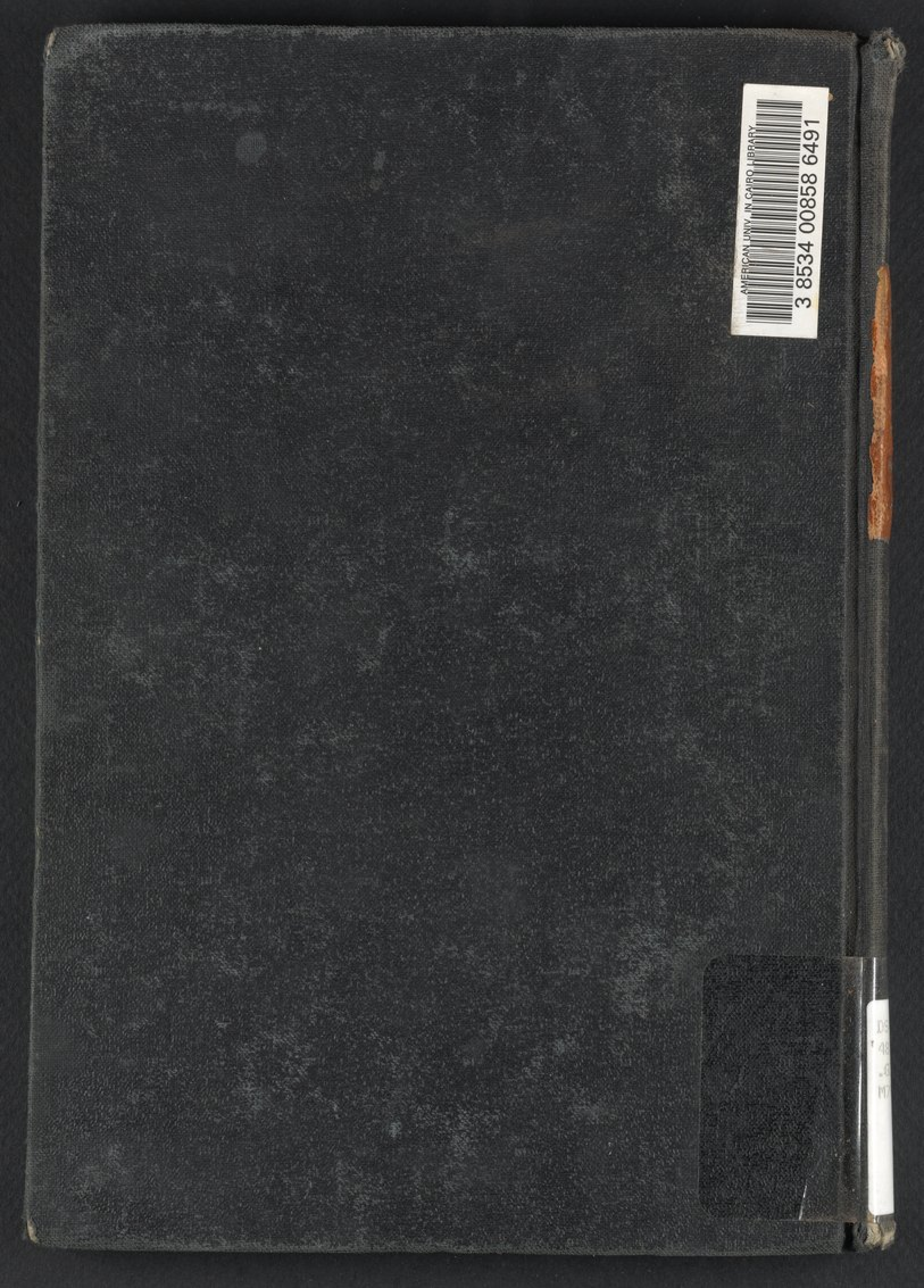
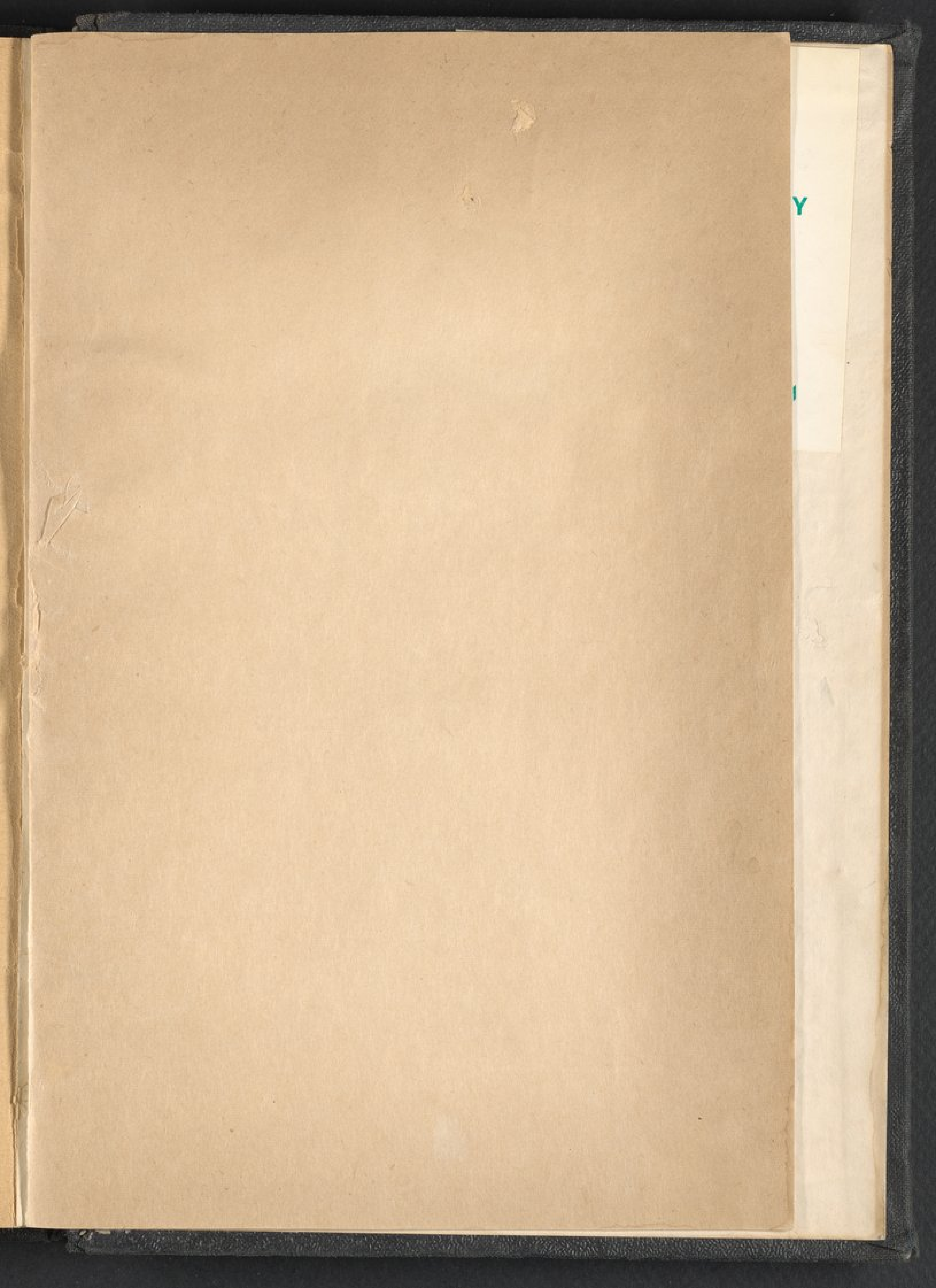

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00858 6491


FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO
من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة



الفاتحة

هذا الكتاب ثلاثة أجزاء . يعالج الجزء الاول منه الاحوال العامة فى الهند مع اشارات تاريخية موجزة . أما الثاني فيعالج سياسة غاندى وفلسفته . وفى الجزء الثالث نقلنا بعض مقالات كتبها غاندى ونشرت فى المجلات الهندية

ونحن فى جهادنا للمبادىء الامبراطورية البريطانية نشبه الهنود وأن كانت قدم الانجليز فى الهند ارسخ وتاريخهم اطول . ولهذا السبب نفسه يجب أن نستنير بحركتهم كما استناروا هم بحركتنا . فان زعماءهم كثيرا ماذكروا الاتحاد بين المسلمين والاقباط فى مصر ودعوا أبناء أمتهم المسلمين والهندوكيين الى مثله فى الهند . وبالطبع يجب ان تختلف الاساليب فى الكفاح وتتأثر بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية . ولكن هذا الاختلاف يسوده اتفاق بيننا وبين الهند فى الغاية والمبادىء العامة

وهذا الكتاب هو درس موجز للحركة الوطنية الهندية من ناحية غاندى ولكن الحركة الوطنية الهندية أكبر من غاندى وان كان هو أنضج ثمراتها وابرز رجالها وأقربهم الي قلوب الهنود

وانى اكتب هذه الكلمة فى الوقت الذى تقول فيه الانباء التلغرافية ان غاندي يدعو الى الكف عن العصيان المدنى . ومن الناس من يفسر هذا الخبر بأن الزعيم الهندى قد اثبت على نفسه الفشل فى الخطط التى اختارها وحض الناس على اتخاذها . ولكن هذا الخبر ، ان دل على شىء ، فهو يدل بلاشك علي لدونة الذهن وكراهة الجمود . فان غاندى لا يختط الخطط لكى يعبدها بل لكى يستخدمها وهو يسارع الى نبذها اذا تبين له فشلها . وسواء أنالت الهند

استقلالها بما ابتكر لها غاندى أو بما أوحى اليها من الخطط والاساليب ، فان الذى لايشك فيه انسان انه قد طبع الهند بطابعه وقد أثر فى العالم أثرا لن يزول

وقد التفت الى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والفلسفية خاصة فى حركة غاندى . وهي نواح لانري لها للأسف غير الأثر الضعيف فى نهضتنا المصرية السياسية . ومازلت أرى ان كفاحنا للانجليز يجب ألا يقتصر على السياسة وان النهضة السياسية يجب أن تغذيها نهضات اجتماعية واقتصادية لكى تصل منها الى التنبيه العام للامة ، للمرأة فى بيتها ، والفلاح فى قريته ، والصانع فى مصنعه، بل يجب أن تكون لنهضتنا فلسفة كما هى الحال فى النهضة الهندية أو النهضة التركية

لقد أحدث غاندى نهضة بين نساء الهند اللاتي دعاهن الى السفور والمغزل كما انه كافح تقاليد بلاده التى تهين خمسين مليونا من الهنود وتعدهم منبوذين . ولم يبال أحيانا ترك الميدان السياسى لكى يكافح فى الميدان الاجتماعى أو الاقتصادى . وكذلك فعل مصطفى كمال الذى حارب تقاليد بلاده السيئة ودعا الاتراك الى الانسلاخ من الشرق والانضمام الي الغرب واتخاذ الحضارة الحديثة حتى لقدعنى بما يبدو لنا انه من الصغائر كاتخاذ القبعة وتعليم الشبان والفتيات رقص المخاصرة

ان السياسة هي بعض الاجتماع وليس العكس صحيحاً . ولذلك يجب أن نجعل غايتنا انقلابا اجتماعيا عاما يتناول تحرير المرأة وتعليمها الصناعات المختلفة كالرجل سواء . كما يتناول اصلاح الريف ورفع شأن الفلاح حتى يعيش عيشة المتمدنين يهيأ بيته بالمراحيض الصحية والاثاث النظيف والمصابيح الكهربائية وله من دخله ما يكفيه لأن يأكل الأطعمة الكافية ويقرأ الصحف ويقتني الكتب ونحو ذلك مما هو حق لكل متمدن . كما ان الوطنية الاقتصادية يجب أن تكون — كما هي فى الهند وتركيا — ضمن نهضتنا بل مراساً نتمرس به حتى قبل تحقيق استقلالنا السياسى . كما يجب أن تتجه نهضتنا نحو مبادىء الحضارة الغربية الحديثة وليس نحو الحضارة الشرقية البالية البائدة

وبهذه الكلمات أقدم هذا الكتاب

سلامه موسى

الجزء الاول

الأحوال العامة

الاستعمار البريطانى

يرجع الاستعمار البريطانى إلي التنبه التجارى الذى أعقب المكتشفات الجغرافية التى قام بها الاسبان والبرتغاليون . فان كلا من فرنسا وهولندا وبريطانيا قامت تنتفع بهذه المكتشفات فى نشر تجارتها فى الشرق . فلما كانت أواسط القرن الثامن عشر كانت «شركة الهند الشرقية» الانجليزية قد استولت على ممتلكات ومصانع كبيرة فى الهند وأقامت عليها الحصون وصارت تجند الجيوش لحماية ممتلكاتها وتتدخل فى شئون الامارات الهندية . وما أن وافت سنة ١٨٥٠ حتى كان فى يد الانجليز نحو ثلثى الهند تحت حكمهم المباشر أما عن طريق هذه الشركة وأما عن طريق الحكام الذين تعينهم بريطانيا

وهذه الشركة ، كما هو واضح من اسمها ، هيئة تجارية ولكنها اقتنت الاسلحة ونظمت الجيوش واستغلت الانحطاط الشرقى فى الهند وخاصة انحطاط الامراء حتى أصبحت وكأنها دوله كبرى . ومن هذا الاصل نفهم الباعث الاقتصادى للاستعمار البريطاني

وحدثت ثورة الهنود سنة ١٨٥٧ فأخمدها الانجليز ومن ذلك الوقت ألغيت الشركة وأصبح الحكم يتولاه « نائب الملك » المسئول أمام البرلمان البريطانى . ولا يستطيع الانسان أن يقول ماذا كان يحدث لو لم تستول بريطانيا على الهند . فقد كان يمكن أن تكون الهند الآن أمة متحدة متقدمة مثل اليابان كما كان يمكن أن تكون أيضاً أمة رجعية متناحرة مثل الصين (قبل نهضتها الاخيرة). فان الانجليز لم يستطيعوا بسط سلطانهم على الهند إلا للانحطاط البالغ الذى انحدر اليه الهنود

وقد انتفع الهنود كما استضروا بالحكم الانجليزي وان كان الضرر أكبر

من النفع . فان الانجليز أبطلوا احراق الارامل . لان الارملة الهندوكية كانت تحرق عقب وفاة زوجها . كما أنهم أبطلوا وأد البنات . فان الهنود ، مثل جميع الشرقيين ، يكبرون من شأن الذكر ويحطون بقدر الانثى . وكان وأد البنات شائعاً فى الهند كما لا يزال فى الصين وكما كان عند العرب فى الجاهلية . وقد منع الانجليز هذا الوأد فهو لايمارس الآن الا خفية ومع التعرض للعقوبة عند ما تعرف الحقيقة

وأكبر فضل للانجليز على الهند أنهم أدخلوا الثقافة الغربية الحديثة . فان الهنود كافة كانوا يدرسون الثقافة الشرقية وهى تقاليد فى العقائد والتاريخ والاخلاق بل حتى فى العلوم . فلما كان ما كولى الأديب الانجليزى المعروف فى الهند سنة ١٨٣٥ يؤدى وظيفة المستشار لشركة الهند الشرقية ، رأى أن يوجه شباب الهند وجهة الحضارة الحديثة بأن يعلمهم اللغة الانجليزية فكتب تقريراً يقول فيه : أنه « يجب جعل الانجليزية وسيلة التعليم حتى تنشأ فى الهند طبقة هندية فى اللون والدم ولكنها انجليزية فى الآراء والاخلاق والذهن »

وغاندى يحارب الآن التعليم باللغة الانجليزية ويطلب أن يكون باللغة الهندية . وهو محق فى ذلك . ولكن لولا هذه الطبقة التى تثقفت بالثقافة الانجليزية لما بلغت الحركة الوطنية مبلغها الحاضر . فان ثقافة الهند لم تكن تعرف الوطنية كما نفهمها ، كما لم تكن تعرف الحضارة الحديثة . أما الآن ، وبعد أن تكونت هذه الطبقة ، فلا خوف من التعليم باللغة الهندية لان الايمان بالثقافة الحديثة قد تم ولا خوف هناك من الرجوع الى الثقافة الهندية التقليدية ومقاطعة الثقافة الحديثة

وقد أضر الانجليز الهنود بحصرهم التعليم فى طبقة صغيرة هى ، كما يقول أحد الانجليز ، « أقلية مكرسكوبية » فانهم كانوا وما زالوا ينفقون ملايين الجنيهات عل الجيش وعلى مرتبات الموظفين الانجليز فى حين كانت ميزانية

التعليم على الدوام ضئيلة .فان متوسط ماتنفقه حكومة الهند علي التعليم العام لايزيد على أربعه مليمات لكل شخص في العام

وأضروهم أيضا بقتل صناعاتهم بل هناك مايؤيد القائلين بأن الانجليز باشروا بأنفسهم وبطرق هى غاية فى النذالة والخسة والتوحش قتل الصناعات الهندية لكى يبيعوا للشعب الهندى مصنوعات انجلترا . وهم من هذه الناحية كانوا سببا مباشرا للفاقة العظيمة فى الهند وللمجاعات التى تكتسح البلاد من وقت لآخر

فاذا أضفت الي ذلك تلك الخصال السيئة التى تتفشى فى بعض الافراد من الطبقة العالية فى الامة لوجود الحاكم الاجنبى فيها وكيف يستحيل الرجل الشريف الي جاسوس على أهله ووطنه، واذا اضفت أيضا ماتفعله السيطرة الاجنبية من ايحاء روح الذل فى سائر أفراد الامة، عرفت انه ليس فى الاستعمار أو السيطرة الاجنبية شىء من الفضائل يعادل الرذائل التى يغشيها

السكان والاديان

يدل آخر احصاء نشر عن الهند — وقد تم سنة ١٩٣١ — على ان السكان يبلغون ٣٥٣ مليون . وهذا باضافة بورما واستثناء سيلان . ويبلغ عدد اللغات فى الهند ٢٢٥ منها ٢٧ لغة آرية الاصل مثل اللغات الانجليزية أو الالمانية أو الفرنسية . ويتكلم هذه اللغات ٢٢٧ مليون هندي . وهناك ١٤ لغة درويدية يتكلم بها ٧٢ مليوناً و١٥٦ لغة مغولية يتكلم بها ١٥ مليوناً . وقد يستغرب القارىء هذا الرقم الاخير ولكن هذا الاستغراب يزول اذا عرف ان المتكلمين لهذه اللغات يعيشون فى الجبال فهم بذلك ينقطعون جماعات صغيرة ويصعب الانتقال أو الاتصال بينهم فتحتفظ كل جماعة بلغتها مهما كان عدد أفرادها صغيرا

وتنقسم الهند من حيث الاديان الى ما يأتى :

٢٣٩ مليون هندوكى بما فيهم المنبوذون

٧٧ « مسلم

١٣ « بوذى (معظمهم فى بورما)

٤ر٥ « سيخ

٤ر٥ « مسيحى

مليون وربع جاينيون

وهذا غير ثمانية ملايين لا يزالون فى طور القبيلة يعيشون فى التلال ويجهلون الزراعة . وهم عند ما يتحضرون يعتنقون الهندوكية فى الغالب . ومعظم المسلمين فى الشمال وهم اضخم أجساما من الهندوكيين لان الدم المغولى يجرى فى عروقهم . وبدخول الاسلام فى الهند انقرضت البوذية حتى لم يعد يؤمن بها غير سكان بورما [والهندوكى يسرع الى قبول الحضارة الاوربية كما يسرع الى اتخاذ الاعمال الحرة . ومن الهندوكيين الآن عدد كبير من الاغنياء أصحاب المصانع

لغزل القطن ونسجه ومنهم من يملك الملايين من الجنيهات . أما المسلمون فلا يزالون متمسكين بشرقيتهم وعندهم كبرياء يمنعهم من احتراف الاعمال الحرة فقد كانوا عند دخول الانجليز للهند سادة البلاد يتولون الحكم ولهم الجيش .

فلما نزع ذلك منهم لم يستطيعوا أن يخضعوا أنفسهم للظروف الجديدة وبقوا يلتزمون أنفتهم ويرفضون التكسب بالعمل الحر الذى لم تسبق لهم به الفة . أما الهندوكيون فلم ينقص الاحتلال الانجليزى شيئاً من حقوقهم السابقة اذلم تكن المناصب العليا فى أيديهم وكان لهم مران قديم بالاعمال الحرة . وفى كل قرية مراب منهم يقرض الفلاحين ويجعلهم تحت سلطانه

وعلاقة الهندوكيين بالمسلمين ليست حسنة على وجه العموم . فان الهندوكى ينظر الى المسلم نظرته الي الغريب الذى غزا بلاده وقهرها واستخلص لنفسه أحسن بقاعها وأكثرها خيرات . والمسلم يخشى اتحاد الهند واستقلالها لانه يشعر ان المسلمين أقلية لايمكن أن يسمع صوتهم اذا اتحدت الهند فى برلمان واحد وان الاكثرية الهندوكية سوف تستبد بهم . وقد أحدث غاندى تآلفا بين الطبقتين وجعل المستنيرين منهم يدا واحدة فى طلب الاستقلال ولكن العامة من الطائفتين لاتزال تنظر احداهما الي الاخرى نظرة العداوة

وهذا الخلاف القائم بينهما يستغله الاستعمار البريطانى . فان الجنود الانجليزية هي التى تهدىء الشغب وتقف القتال بين الفريقين . ومن هنا يعتمد عليها الفريق المغلوب للاحتماء بها

والبوذية دين نشأ فى الهند فى القرن الخامس قبل الميلاد . وكانت قد اضعفت الهندوكية وكشفت عن مساوئها فى الاغراق فى الشعائر والمناسك . ولم تكن تؤمن بالالهة أو الكهنة أو المناسك . وكانت تدعو الى أن الدين هو اختبار شخصى لايأتي بوحى وانما ينتج عن التفكير والتأمل . وقد طهرت الهندوكية من كثير من مساوئها . ولكنها لم تستطع الثبات أمام الاسلام . ويبلغ المؤمنون بها فى العالم الآن نحو ٣٠٠ مليون ليس منهم غير عدد قليل جدا فى الهند .

وأكثرهم فى الصين واليابان والاقطار الجنوبية الشرقية من آسيا . والبوذية هي أقرب الاديان القديمة الى مايفهم هذه الايام من معنى «البشرية» الذى يدعو اليها رجال الذهن فى اوربا وامريكا

وترجع الديانة السيخية الي القرن السادس عشر . وكان مؤسسها ناناك الذى مات سنة ١٥٣٠ وكان ينشد توحيد الاسلام والهندوكية في دين واحد . وقد أخذ من الاسلام الايمان بالواحد . ومن الهندوكية تقمص الارواح مع جحد الاوثان والغاء الكهنة والطبقات مع الدعوة الى الفضائل العملية كالنزاهة والعدل والامانة . والسيخيون مثل الوهابيين يقاطعون الدخان ولكنهم مع ذلك يتسامحون في الخمر

أما الجاينية فمذهب من الهندوكية يقرب من البوذية . والجاينيون لايؤمنون بالكتب المقدسة التى يقول بها البراهمة . وآلهتهم انسانية فهي أقرب الي القديسين منها الى الالهة . وهم يتوقون قتل الحيوان ولو كان حشرة وليس بينهم طبقات

والدين يطبع الامة بمزاج خاص والمزاج الهندى الذى ربي بالهندوكية والبوذية ينحو نحو النسك ولذلك يكثر فى الهند الناسكون والمتصوفون وأهل الطريقة و« الفقراء » . والفاقة العامة فى الهند تساعد على هذه النزعة التى يدعو اليها الدين

الديانة الهندوكية

كانت الديانة الهندوكية شؤماً على الهنود . فانها أذلتهم اكثر مما أذلهم الانجليز وأقامت لهم نظاما اجتماعيا جامدا لا يمكن تنقيحه الا بمخالفة الدين . ويرجع هذا الدين الى حوالي سنة ٧٠٠ قبل الميلاد وله كتب مقدسة وآلهة وصوفية لاتختلف كثيراً من الصوفيات التى تفشت فى جميع الاديان الاخرى إلا من حيث الايمن الراسخ بالتقمص

ولكن محور الهندوكية ليس صوفياً أولاهوتيا وانما هواجتماعى . فان الهندوكى يطلب منه قبل كل شىء الايمان بانفصال الطبقات وقدسية البراهمة أو الكهنة . والهندوكيةهي أبعد الاديان عن الديموقراطية وبدلامن أن تعمل للمساواة بين البشر كما هو الشأن فى المسيحية أو الاسلام تفصل الامة أربع طبقات هى

١ — طبقة البراهمة أى الكهنة

٢ — طبقة الكشاترية أى رجال الحرب

٣ — طبقة الفايسية أى رجال التجارة

٤ — طبقة السودرا أى الفلاحين

ويقول المؤرخون فى أصل هذه الطبقات ان الآريين الذين أغاروا على الهند قبل نحو ٣٠٠٠ سنة أو أكثر كانوا بيض الوجوه نخافوا الاختلاط بالسكان الاصليين فأسسوا نظام الطبقات هذا لكى يمنعوا التزاوج بينهم وبين هؤلاء السكان على نحو مانجد فى الولايات المتحدة الآن حيث الكراهة شديدة عند البيض للسود . وقد خصوا السكان الاصليين بالمهن الحقيرة مثل فلاحة الارض ثم أخذت هذه الطبقات الاربع تنقسم وتتفرع حتى أصبح الآن فى الهند نحو ٢٥٠٠ طبقة ادونها طبقة المنبوذين وهم من السودرا . وأعلاها طبقة البراهمة أى الكهنة . ولكن اذا كان فى هذا التحليل التاريخى

شيء من الصحة فان الواقع المشاهد الآن يثبت أن الهنود جميعهم يمتازون بسحنة واحدة سواء منهم البراهمة أو المنبوذون . وهذا يدل على اختلاط الدم على الرغم من التحريم الذى نصت عليه الهندوكية

والبرهمى يمتاز بامتيازات خاصة . فانه لايجوز الزواج أو الدفن أو القيام بأى احتفال الا اذا كان ذلك بوساطته . وعندما يرتكب الهندوكى ذنبا فان عليه أن يكفر باطعام البراهمة وتقديم القرابين لمعابدهم

والهندوكيون علي وجه عام لا يأكلون اللحم كثيراً وهم يحجمون عنه لأن الصوفية — وليس الديانة الهندوكية — تجعل الانسان والحيوان واحدا وتقول بالتقمص . وهناك طوائف لاتذوق اللحم بتاتا ومن هؤلاء الطائفة التى ينتمى اليها غاندى . ولكن جميع الهندوكيين يقدسون البقرة ولا يذبحونها . فاذا شاخت تركوها حتى تموت حتف أنفها أو حتى يفترسها وحش فى الحقل . وكثير من الشقاق بين المسلمين والهندوكيين يعود الي ذبح المسلمين للبقرة التى يقدسها الهندوكى ويتبرك ببولها . ويحكى عن أمير هندوكى حضرته الوفاة فطلب أن تحمل له بقرة إلى جنب سريره لكى يمسك بذنبها حتى يموت . وتم له ذلك

وقد أدى تقسيم الامة الى طبقات ان صارت المهن وراثية . وانتهى هذا التقسيم الي نظام اقتصادى جامد . فان المنبوذين الذين يبلغون نحو خمسين مليوناً يحترفون كسح الكنف وكنس الشوارع والقليل من الزراعة مع انه لايجوز لهم أن يمتلكوا أرضا . والمنبوذ هو والمرأة سواء فى الديانة الهندوكية من حيث حرمانهما من الميراث

ومهما قيل عن نكبات الاستعمار البريطاني فانها ليست شيئاً فى جنب هذا الاستعمار الهندوكى للذهن والروح والاجتماع فى الهند . والمتأمل لهذا الدين لايرى فيه غير نظام غايته خدمة البراهمة وتعبئة الامة جميعها لهذه الخدمة . وهو يتغلغل فى البيت ويعين العلاقة بين الزوج وزوجته والاب وابنه بل أحيانا يعين الحرفة التى يجب على الفرد أن يحترفها ويمسح على البغاء مسحة قدسية دينية

حتى ليهيء الاب ابنته للفجور وهو يظن انه يخدم بذلك الالهة . ومن هنا هذه الثورة التى نراها من غاندى علي ديانة آبائه وتقاليدهم

والهند حافلة بالمعابد والبراهمة والآلهة . والهندوكيون يؤمنون باله واحد تتعدد صوره فى الاصنام ويتوحد جوهره . ولهم ثالوث مؤلف من الارباب براهما وفشنو وسيفا . وقد ظهر مصلحون لهذه الديانة ولكنهم يصطدمون بعقبات كبري لأن الهندوكية أصبحت جزءا لا ينفصل من الاجتماع الهندى فالاصلاح هناك لايحتاج إلى تنقيح عقيدة تتناول النفس فقط وانما يحتاج الي تنقيحات اقتصادية تتناول الحرفة وحقوق الميراث ومركز المرأة ونحو ذلك مما يدل على صعوبة التنقيح

أصل الحركة الهندية

ترجع الحركة الوطنية في الهند الى التنبه التدريجي الذى كان يتفشى بين الهنود كلما توغل الانجليز فى بلادهم وجعلوا سلطانهم يتسلط على مرافقهم. ولكن قطرا كالهند تختلف لغاته ودياناته وهو مع ذلك مؤلف من طبقات متضادة يحتاج الى هزات عنيفة لكى يعمه التنبه . وقد حدثت هذه الهزات

وترجع الحركة الحديثة فى ميلادها الى خطأ الانجليز فى فهم السيكلوجية الهندية واستغلال الوطنى بانرجى لهذا الخطأ . فقد حدث في سنة ١٩٠٥ أن قسموا أقليم بنغال قسمين فهب بانرجى يحرك الهنود وينبههم الى أن هذه القسمة هي تدنيس للوطن ويجب علي القارىء المصرى ألا يخطىء ويقابل بين قسمة ادارية تحدث مثلا في مديرية الغربية وبين قسمة بنغال .فان هذا الاقليم الهندى يحتوي من السكان نحو خمسين مليونا وهو قطر عظيم له تاريخه ولغته وتقاليده فقسمته اشبه بقسمة القطر المصرى منها بقسمة مديرية الغربية

واستطاع بانرجي أن يجعل الهنود يهبون متحدين للمطالبة باعادة بنغال الي ماكان عليه . واضطرت الحكومة البريطانية الى الاذعان فوحدته سنة ١٩١١ والغت القسمة . ولكن الحركة الوطنية لم تخمد من ذلك الوقت . فان بانرجي الذى يقال انه عرف جمال الدين الافغانى ، كما عرفه عرابي ومحمد عبده ، أخذ يؤجج نار الحركة الوطنية وهو يجعل من تقسيم بنغال سببا لدعوة الهنود الى الاتحاد والحكم الذاتي

هذا هو السبب القريب المباشر للحركة الوطنية . ولكن هذا لا يعنى أن الهنود كانوا قبل سنة ١٩٠٥ مستسلمين للسلطان الانجليزى . فانهم ، منذ أن كان اللورد دوفرين نائبا للملك فى الهند (١٩٨٤ — ١٨٩٨) ، الفوا «المؤتمر الوطني

الهندى » الذى لايزال حيا الى الآن . والحكومة البريطانية تحاربه كما تحارب عندنا الوفد وقد منعت انعقاده منذ العام الماضى وصادرت أمواله . وهذا « المؤتمر » يغذو الحركة الوطنية وينظمها وله فيها أثر التجديد المتوالى

وقد كان بانرجى استاذا للاداب الانجليزية فى جامعة كلكوتا وانتخب رئيسا « للمؤتمر الوطنى الهندى » مرتين

ومن الزعماء الذين خدموا الحركة الهندية طيلاك الذى مات سنة ١٩٢٠ فانه انشأ جريدتين احداها بالانجليزية والأخرى بالهندستانية لتنبيه الهنود الى ماتنزلهم به الامبراطورية البريطانية من ضروب الخسف والهوان . وكان مثل غاندى لايقول بالعنف ولكن من شأن العنف أن يسير فى أثر هؤلاء الوطنيين الذين يجحدونه . وقد حكم عليه بالحبس عاما . ثم حكم عليه سنة ١٩٠٨ بالنفى ست سنوات

ومن الوطنيين المعتدلين جوكيل الذي مات سنة ١٩١٥ . فانه كان يدعو الى الحكم الذاتى مع البقاء فى دائرة الامبراطورية . ولذلك لم يتعرض للحبس أو النفى كما تعرض لهما سائر الوطنيين

ولا يمكن أن ينسى اسم محمد على عند ذكر خلاصة موجزة عن الحركة الهندية . فانه خدم الحركة فى اخلاص وأمانة وكان على الدوام يساعد غاندى ويدعو للاستقلال . ولكن أخاه شوكت على انفصل بعد وفاة أخيه من الحركة وأخذ يدعو لاستقلال المسلمين وانفصالهم من الهندوكيين . ومع ان هذا الرجل أعرف الوطنيين الهنود بفائدة الاتحاد بين المسلمين والأقباط فى مصر ، ومع انه قد زار مصر مرات ورأى بعينيه قيمة هذا الاتحاد ، فانه قد انتهى الى الانضمام الى الانجليز وهو يطلب الضمانات منهم لحماية الاقلية المسلمة

وقد بقيت الحركة الهندية وهي لا تلفت الانظار فى العالم المتمدن إلا قليلا الي ان سطع فيها غاندى . فانه كسبها من المبادىء وعين لها من الخطط ما جعل العالم يلتفت اليه ويرى فيه نبياً قبل أن يرى فيه وطنيا ! ولكن أعظم ما خدم

الحركة الوطنية هو فظيعة أمريتسار التى جن فيها الجنرال داير الانجليزى فجمع الهنود فى ميدان ثم اطلق عليهم النار فقتلهم قتلا ذريعا ثم أمر جميع من يمر فيه من الهنود بأن يزحف على ركبتيه وكل هذا لأن بعض السكان فى هذه المدينة قتلوا بعض النساء الانجليزيات . وكانت هذه الحادثة فى الهند بمثابة دنشواى فى مصر اذ انعقدت القلوب على كراهة الانجليز من ذلك الوقت

وزاد فى الكراهة أن الحكومة الانجليزية حين عاقبت هذا الجنرال ابى الانجليز المقيمون فى الهند الا تكريمة فاهدوا اليه سيفا من الذهب فكان هذا التحدى الوقح للأمة الهندية سبيلا الي اتحادها والحاحها فى الاستقلال

الثقافة الانجليزية فى الهند

إذا كان الانجليز قد نكبوا الهنود بالاستعمار فانهم قد أسدوا اليهم أعظم الفضل بتعليمهم اللغة الانجليزية التى فتحت لهم باب الثقافة الانجليزية الواسع. وهذه الثقافة هي العلاج الحقيقى للاستعمار لانها تحتوى على بذرة الحرية التى لا يمكن الاستعمار أن يقتلها. ويمكن الناقد المنصف أن يقول — بعد أن يعدد المظالم الكثيرة التى أوقعها الاستعمار البريطاني بالهند — أن النهضة الهندية الحاضرة انما تعزى إلى هذه الثقافة الانجليزية العجيبة وأن غاندى هو ثمرة هذه الثقافة التى لا يستطيع بها إلا أن يثور فى وجه الظلم

لما وصل الانجليز إلي الهند كان الهنود — وخاصة الهندوكيين — فى ظلام دامس قد تحجرت تقاليدهم يقتلون أراملهم ويخضعون لبراهمتهم وراجواتهم لايدرسون غير السخف الذى تراكم من العقائد الهندوكية. وكانت البوذية قد امحت من الهند وطوردت إلي الحدود وبقيت الحال على ذلك بعد استعمار الانجليز للهند مدة طويلة إلى أن تعين الأديب الكبير ماكولى مستشاراً للمجلس الأعلى فى الهند سنة ١٨٣٤ وهناك نسى هذا الاديب مصلحة الاستعمار وآثر عليها مصالح الذهن فقرر أن يعلم الهنود تعليما عالياً باللغة الانجليزية. ومن هذا الوقت انفتح أمام الهنود باب المدنية الغربية وظهرت عندهم الدعوة إلى الحرية والمساواة وغرس غرس الوطنية الهندية الذى يتعهده الآن تاجورى وغاندى ونهرو وغيرهم

ونستطيع أن نجزم أنه لولا هذه الثقافة الانجليزية لما ظهرت الدعوة إلى الحرية فى الهند ولما تجرأ رجل مثل غاندى على أن يقول بمساواة المنبوذين بسائر الهندوكيين. ولو كان الهنود يقتصرون فى ثقافتهم على الآداب الشرقية لبقوا إلي الآن فى خضوع أعمى لولاتهم الانجليز كما يخضعون لراجواتهم الهنود وبراهمتهم. ولعدوا أنفسهم منبوذين أمام الحاكم الانجليزى كما يعد الانجاس أنفسهم منبوذين أمام سائر الهندوكيين

ويجب ألا ننسى أن أنظمة الحكم الدستوري في العالم كله هي إحدى ثمرات الثقافة الانجليزية لان الانجليز هم الذين قرروا حق الشعب فى أن يحكم نفسه. والتقاليد الدستورية هي جميعها تقاليد انجليزية. وليس هناك مايعيب الامم التى نكبت بالاستعمار البريطاني أن تعترف لهذه الثقافة الانجليزية بهذا الفضل

ومما يدعو إلى العجب أن ماكولى الذى عمم اللغة الانجليزية فى التعليم فى الهند، كان يسىء الظن بالهنود حتى كاد يحسبهم غير جديرين بالرقى. ولكنه فى هذا الاعتقاد السىء الذى بعثه فى نفسه ما كان يرى من جمود الهنود لم يكن يعرف مقدار التنبيه الذى تبعثه الثقافة الانجليزية التى تمثل فى عصرنا الحاضر أحسن ما كان فى ثقافة الاغريق القدماء وتزيد عليها جداً ورجولة

والناس عند ما يذكرون الحرية تلتفت أذهانهم الي الثورة الفرنسية مع أن بذرة هذه الثورة ترجع إلي انجلترا وقد دعا أحد دعاتها فولتير الى الدستور الانجليزى. وكان خطيبها ميرابو يدعو هذه الدعوة أيضاً واذا كنا نحن نري الآن فى غاندي داعية مخلصاً للحرية والاخاء والمساواة فان آباءنا فى القرن الماضى كانوا يرون فى غلادستون - على الرغم من تعصبه الدينى — هذا الداعية أيضاً. بحيث يمكن أن نجد صلة روحية بين الاثنين

وإني أود ألا أجرح كرامة أحد فى هذه الكلمة. ولكنى لا أرى مندوحة من القول بان دعاة الوطنية الذين يقررون المباديء ويجددون النضال هم من الذين تثقفوا بالثقافة الانجليزية. وحسب القارىء — للاعتراف بفضل هذه الثقافة -- أن ينظر فى الهند ومصر فيجد حركة وطنية قوية وكفاحا عنيدا للاستعمار البريطاني. فى حين ليس شىء من ذلك فى المستعمرات الفرنسية تونس أو الجزائر حيث الثقافة فرنسية لاتبعث فى النفس الدعوة إلى الحرية أو المساواة. ولو بقى الهنود، ولو بقينا نحن، قانعين بالثقافة الشرقية لما ظهرت هذه الحركة الوطنية السامية فى الهند أو لمصر

المصلحون الدينيون

ليس غاندى أول المصلحين للهندوكية الداعين الى تطهيرها مما علق بها من طبقات التقاليد الكثيفة. فقد ظهر فى الهند دعاة للاصلاح قبل غاندى وكثير من هؤلاء كانوا من البراهمة. فاننا نقرأ الآن عن اختلاط غاندى بالمنبوذين ولكنه ليس مع ذلك الأول فى الميدان. فمنذ سنوات عرف أحد البراهمة وهو راما كرشنا بمثل هذه الدعوة وقد كنس بيتاً لاحد المنبوذين بشعر رأسه لكي ينفي عنهم تهمة النجاسة وفى سنة ١٩٢٦ قتل زعيم من زعماء الهندوكية يدعى شراداان كان يؤاكل المنبوذين وكان يعلمهم طرق المقاومة السلبية للهندوكيين المتعصبين وهي الطرق التى دعا اليها غاندي جميع الهنود لمقاومة الانجليز وقد حدث فى ملابار أن قصد اليها هذا الهندوكى المصلح يطلب للمنبوذين المساواة ؟ وكانت التقاليد فى هذه البلاد تقضى بألا يسير المنبوذون على الطرق العامة التى يسير عليها سائر الناس فحضهم علي العصيان وصاروا يسيرون على الطرق العامة فيقبض عليهم ويحبسون . وبقوا على ذلك مدة طويلة الى ان ألغيت هذه التقاليد فى ملابار وانهزم الرجعيون

وقد كان البراهمة ، كما يعرف القراء لكتاب كليلة ودمنة ، سادة الهند وحكامها وكهنتها ، ولكن دخول الاسلام فى الهند زعزع سلطانهم ثم جاء الانجليز فأزالوه . فلم يبق لهم الآن سوى السلطان الروحى على الهندوكيين . وهذا السلطان نفسه قد فتح لهم أبواباً لزيادة الثروة والرقى . فانهم اختصوا بالوزارات وتقلد المناصب العالية ودرسوا الآداب والطب وكانوا الى وقت دخول الانجليز يتولون إدارة البلاد ويتزعمون ثقافتها

ولكن هذا السلطان لم يكونوا ليستطيعوا الاحتفاظ به لو لم تكن لهم أو لمعظمهم أخلاق صارمة . فان قسما كبيراً منهم لا يذوق اللحم وجميعهم بلا

استثناء لا يذوقون الخمور . وقد ظهر بينهم قديسون عاشوا عيش الصلاح والتقشف والزهد ومن هنا قوتهم أو بعض قوتهم . فانه ليس من المعقول أن تستطيع طبقة الاحتفاظ بالسيادة آلاف الاعوام إذا لم تكن فيها صفات السيادة

ومن المصلحين الذين يشار اليهم فى الهند سرسواتي فانه دعا الى اهمال المناسك والشعائر والاقتصار على الويدا أى الكتاب المقدس وطلب محو الطبقات والمذاهب. ولهذا المصلح شيعة يعد أفرادها بالملايين وهم يخالطون المنبوذين كما يخالطون البراهمة لا يعرفون فرقا بينهما . وهم يعلمون بناتهم ويجعلونهن يختلطن بالرجال ولا ينفصلن فى حرم خاص بالمنزل

وقد أسسوا مئات من المدارس التى تعيش بالتبرعات لا تساعدها الحكومة بشىء من أموالها . وقد أرسلوا الرسالات التبشيرية الى جميع انحاء الهند لمحو النجاسة والغاء الحجاب وتعليم المرأة وتطهير الهندوكية من الاساطير والمناسك والعودة بالدين الى فطرته الاولى. وهم لا يعبدون الاصنام ولا يسمون أنفسهم بشعار الطبقات .وقد استطاعوا بحركتهم هذه أن يصدوا حركات المبشرين من المسيحيين

وشيعة سرسواتى هذه قد استطاعت أن تحارب التقاليد الهندوكية التى كانت تقول باحراق الارملة . فلما ألغت الحكومة الانجليزية ذلك بقى عند الهنود احتقار الارملة والتشاؤم من رؤيتها . ولكن جهود سرسواتى جعل الامة والحكومة معاً تقبلان زواج الارملة . وهذه معجزة فى الهند

ولكن يجب أن لا ننسى هنا أن أعظم عقبة فى سبيل الاصلاح الاجتماعى أو الدينى فى الهند هو قيام حكومة أجنبية جعلت شعارها أن لا تتدخل فى الدين. وهي تجعل من تحايدها هذا حجة تحتج بها كلما وجه اليها لوم بشأن إهمالها للاصلاح الاجتماعى لانها تستطيع أن تقول أنه يمس الدين . وفي بلاد كالهند الدين والاجتماع يتداخلان . فلا بد من حكومة وطنية تستطيع أن تتحمل تبعة التدخل فى الدين لكى تصلح الاجتماع واذا لم تكن الحركات التي قام بها هؤلاء المصلحون الهندوكيون مثل غاندى أو سرسواتى أو راما كرشنا تؤتى كل ثمراتها فلأنهم جميعاً لم يلقوا أية معاونة من الحكومة البريطانية

الحكم الهندي فى الهند

الهند قطر كبير هو أشبه بالقارة منه بالقطر . يزيد سكانه على ٣٥٠ مليون منهم نحو ٣٠٠ مليون تحت حكم الانجليز المباشر ونحو ٥٠ مليونا تحت حكم الامراء الهنود من الهندوكيين والمسلمين. ولكن هؤلاء الامراء ليسوا مستقلين إلا اسقلالا داخلياً ولا يمكن واحداً منهم أن يحدث نفسه بمخالفة الانجليز

ويمكن ان يقال على وجه عام ان حكم البريطانيين خير من حكم هؤلاء الامراء . فان الامير يجعل ميزانية الدولة ميزانية قصره كما كان الشأن فى أمراء الشرق فى الازمنة السالفة . والضرائب تجبى احيانا على غير نظام. وعند الامير ان يشترى الماسة أو يبنى قصراً أو يقتنى النساء خير من ان ينشيء مدرسة أو ملجأ أو مستشفى . ولذلك لا ينسى الهنود الوطنيون مثل نهرو ان يطلبوا الغاء الامارات الهندية كما يطلبون الغاء حكومة الامبراطورية

ولسنا نعنى ان جميع هؤلاء الامراء ظلمة فان منهم العادل الوطنى الذى تجرى فى عروقه دماء الهنود وهو يطلب الاستقلال للهند باخلاص وولاء . ومن هؤلاء مصلحون خدموا شعوبهم وانفقوا أموالهم فى اصلاحهم. ومن الامراء المصلحين نظام حيدر باد وأمير بارودا ومهراجة ميسور ومهراجة نبها. فان هؤلاء الاربعة يعطفون على الحركة الوطنية فى الهند ويصرحون بوجوب الاتحاد بين جميع الاقطار الهندية . وهم يعجبون بالوطنيين الهنود حتى ان أمير بارودا دعا الوطنى بانرجي لان يكون رئيس وزارته . وكان هذا الوطنى أول زعماء الحركة الوطنية الحاضرة حين ذهب يوقظ الهنود الى الاستقلال بحجة ان الانجليز قسموا اقليم بنغال قسمين . وقد رفض هذا الوطنى هذا المركز السامي لاشتغاله بالحركة الوطنية فى بنغال التى تأججت منها نار الوطنية فى سائر انحاء الهند . وقد كان بوز الذي اشترك فى حركة بنغال مفتشاً للتعلم فى بارودا . ومن سنوات دعا

مهراجة ميسور الزعيم غاندى لـكى يكون ضيفاً رسمياً . وقد « طهر » نظام حيدر باد إدارات الدولةمن الموظفين الانجليز والاجانب وعين فى مكانهم هنوداً. وقد دارت مكاتبات بينه وبين نائب الملك بشأن هذا الموضوع

ومن الامراء الوطنيين أمير نبها . فان الحكومة البريطانية عينته عضواً فى « الجمعية التشريعية » فانضم الى المعارضة وأصبح الصديق الحميم للوطنى جو كيل. ولم يغفر له الانجليز هذا المسلك الذى سلكه وخيب به ظنها فى الاعتماد على أمراء الهند لاذلال الهنود فانها أجبرته بعد ذلك على النزول عن العرش

ويقول الانجليز أن الامراء شكوا الى الحكومة البريطانية وأعربوا عن مخاوفهم إذا منحت الهند استقلالا داخليا ودستوراً ديمقراطياً يضم بين الامارات المستقلة والهند البريطانية. وهذا لا يستغرب من بعض الامراء الذين نشأوا نشأة شرقية محضة جعلتهم يكرهون الشعوب التى يحكمونها ويعتقدون أن الحكم لا يعنى غير القصر والجوارى والجواهر والفيلة . ولكن الامراء الذين نشأوا نشأة أوربية وتعلموا فى الجامعات الاوربية وعرفوا السر فى تأخر الهند وتقدم أوربا يحبون شعوبهم ويعملون للحكم الديمقراطي ويعطفون على الحركة الوطنية

ويجب ألا ننسى أن قيام الحكم البريطانى الى جنب هؤلاء الامراء يفسدهم ويجعلهم يعتمدون على رعايته وحمايتـه أكثر مما يعتمدون على ولاء الشعب والحرص على حبه . فاذا كان بين هؤلاء الامراء من يبدو فى وطنيته نقص فان هذا النقص أو بعضه يعزى الى قيام الحكم الانجليزى. وإذا زال هذا الحكم فان من المحقق أن هؤلاء الامراء يسرعون فى الاصغاء الى صوت شعوبهم

وحتى مع التسليم بأن حكم الانجليز أعدل من حكم الامراء الهنود يجب ألا ننسى أن نصف الميزانية ينفق على الجيش وأن جزءاً كبيراً منها أيضا ينفق فى تسديد الاقساط للديون التى استدانتها الحكومة وحملة أسهم هـذه الديون من الانجليز . وجميع المناصب العليا والمتوسطة فى أيدي الانجليز . ومع أن للهند البريطانية « جمعية تشريعية » فان رأيها استشارى

الفقر والنجاسة

النجاسة فى الهند صفة المنبوذين ورثوها بحكم التقاليد . ولكن الفاقة العظيمة التى يعيش فيها هؤلاء المنبوذون تجعل نجاستهم حقيقية وليست دينية فقط . فانهم يمنعون من امتلاك الارض ومن حفر الآبار للاستقاء وعليهم يقع واجب نزح الكنف من المدن وحمل الزبالة . فاذا لم تلحقهم النجاسة من الدين فانها تلحقهم من هذه الصناعات وأمثالها ومن حرمانهم الذي يضطرهم الى الاستقاء من البرك والمناقع

ولو تحسنت الحال الاقتصادية فى الهند واستطاع المنبوذون أن يعيشوا من إحدى الصناعات التى يكسبون منها أجورا عالية لكان فى مقدورهم أن يستروا أجسامهم بملابس حسنة وأن يأكلوا الاطعمة المغذية ويسكنوا المنازل النظيفة . وفى مثل هذه الحال يكذب الواقع المأثور فلا تنسب اليهم النجاسة أو على الاقل يخف وقعها

ولكن نكبة الهند هى الفقر، هذا الفقر الذى يجعل الام تقتل وليدتها ، وتجعل الجائع يخدر نفسه بالافيون لكى لا يتضور من الجوع . وهذا الفقر ليس له شبيه فى قطر آخر فى العالم وكثيرا ما تسوء الحال فيعم القحط جميع الريفيين ويموتون من المجاعة . وقد قال جوكيل الوطنى الهندى :

« يعيش فى الهند نحو أربعين مليونا لا يحصل أحدهم على أكثر من وجبة واحدة فى اليوم . ويقول السر تشارلس اليوت أن فى الهند سبعين مليونا لا يتاح لأحدهم أن يشبع ولو مرة واحدة فى العام»

وقال المستر مونتاجو فى إحدي خطبه سنة ١٩١٩ : « هل منكم من يعرف أن وافدة الانفلونزا قد قتلت فى العام الماضى نحو ستة ملايين شخص فى الهند ؟

أليس فى هذا العدد العظيم ما يدل على علاقة هذه الوفيات بالفقر وضعف السكان عن المقاومة ؟ »

وكوخ الفلاح الهندى يدل على الفقر البالغ . فانه يبنيه من الطين جدرانا أربعة ليس لها نوافذ أو باب وهو يبنى خارج هذا الكوخ مصطبة يقعد عليها للاستراحة . وهو لا يعرف من الملابس غير وزرة يستر بها عورته . وهو يكد فى الزراعة بياض النهار وبعض الليل هو وزوجته وأولاده . وعليه أن يدفع للمالك نصف الناتج من الزراعة وعليه أن يؤدي ضريبة الملح للحكومة

واذا كانت هذه هى حال الفلاح فكيف تكون حال المنبوذ ؟

وفى المدن الكبري مثل بومباى يعيش العمال فى فقر مرعب . فان هناك مساكن متوسط ما تحتويه الغرفة فيها نحو ستة أو سبعة أنفس . وينصح مدير الاحصاء فى الهند بأن يعلم الناس طرق ضبط التناسل . وليس شك فى فائدة ضبط التناسل ولكن جهل الطبقات الفقيرة وما يمكن أن يقيمه رجال الدين من العقبات فى سبيل هذه الدعاية يحولان دون ذلك

وليس للحكومة ملاجىء تؤوى السائلين أو المحتاجين . ومع أن الحكومة الهندية تتعلل لاحجامها عن الاصلاح بجهل الأمة الهندية فان الامة نفسها قامت باصلاحات عديدة فى الدين والاجتماع والاقتصاد لم تقم بمثلها الحكومة . ففى المدن الكبرى أسس الاغنياء ما يسمى « دار مسألة » وهي مأوى للسائلين يأكلون فيه وينامون اذا ثبت عجزهم عن الكسب

ولم تكن الهند بهذه الحال من الفاقة فى الازمنة الماضية . وإنما جاءتها هذه الفاقة من الانجليز . وليس شك فى أن الزراعة كانت أحيانا لا تؤتى غلاتها لقلة الامطار فيحدث القحط فى أثر ذلك . ولكن مثل هذا القحط لم يكن يحدث لو لا زيادة السكان المتوالية مع بقاء غلاتها على ماهى عليه لا تزيد

والسبب الاصلي لفاقة الهند ـ على ما أوضح غاندى ـ هو قتل الصناعات الهندية وخاصة الغزل والنسج لكى يفتح الطريق لمنسوجات لنكشير فتستأثر

بأسواق الهند . وقد كانت الاقمشة الهندية معروفة يتهادى بها الملوك والامراء ولكن الانجليز قتلوها وعمدوا الى كل رجل معروف ببراعته فى النسج فقطعوا يده حتى ماتت صناعة النسج وأصبح الهندى الذى كان يشترى منسوجات بلاده لنفسه ولزوجته وأولاده يشترى منسوجات لنكشير الانجليزية

وهذا هو مايجعل غاندى يلح على الهنود فى الرجوع الى المغزل والمنسج . فانه يريد من ذلك أن يكافح الفاقة ويقدم للفلاح الهندى صناعة أخرى الي جنب الزراعة تزيد كسبه وتمكنه من أن يشترى الطعام الكافى لأسرته . فان الزراعة فى الهند تقتضى كدا متواصلا بضعة أشهر ثم راحة متواصلة بضعة أشهر أخرى . فاذا استطاع الفلاح أن يغزل فى مدة الراحة أمكنه أن يزيد مكاسبه بعض الشيء مما يعينه على المعيشة الحسنة

وعلاج الفاقة هو ، كما بيننا ، علاج أيضا للنجاسة لان الكرامة الاجتماعية تجيء فى أثر الكرامة الاقتصادية

المرأة الهندية

من الكتب التى ذاعت فى أوربا وأمريكا كتاب ألفته آنسة امريكية تدعى كاترين مايو وعنوانه « أمنا الهند » وهى تصف فى هذا الكتاب المساوىء الاجتماعية التى يعانيها الهنود من تقاليدهم . وغاية الكتاب الدفاع عن الادارة الانجليزية وأن الانجليز يصلحون البلاد فى حين تواجههم عقبات من التقاليد التى توارثها الهنود عن أديانهم وهي تقاليد تهدم كرامتهم وصحتهم وتبقيهم فى الفاقة والضعف

وقد حنق الهنود على هذا الكتاب وقالوا فى الدفاع عن بلادهم أن هذه المؤلفة مأجورة من الحكومة البريطانية لكى تسوىء سمعة الهنود وتحط من قيمة جهادهم للاستقلال . وألفوا الكتب فى الرد على كتابها هذا وأثبتوا فيه مبالغات تدل على القصد السيء من ايرادها ونشرها . وما هو أن هدأت العاصفة حتى نشرت كتاباً آخر عنوانه « عبيد الآلهة » والمعنى واضح من هذه التسمية وهو أن الهنود قد استعبدتهم آلهتهم وهم لا يجرؤون على الانطلاق من القيود التى قيدتهم بها . وقد جعلته قصصاً تتناول فى الاكثر حياة المرأة الهندية

ومهما قيل عن هذين الكتابين فان الذي لا مراء فيه أنها تذكر أشياء تقع فى الهند . وهي إذا بالغت فلابراز الصورة فقط . أو هي تعمم أحياناً حين يكفى التخصيص . فان الارملة مثلا لاتحرق الآن فى الهند بوجه عام ولكن من آن لآخر يقع هذا الاحراق . وبين المنبوذين رجال استطاعوا أن يبرزوا ويبلغوا القمة ولكن منهم من تعد حياته فى نظر الهندي كحياة الكلب إن لم نقل كحياة الحشرة . ومن أحسن ما قاله رجل من أحرار الانجليز عن هذين الكتابين أنه يجب على الهنود أن يذكروها وعلى الانجليز أن ينسوها . وهو يعنى بذلك أن الهند يجب أن تصلح نفسها وأن الانجليزى يجب ألا يعيب على

الهنود هذه العيوب

وتذكر المؤلفة قصة أرملة تجرى عليها محاولة احراقها بالنار عقب وفاة زوجها . وتجرى المحاولة فى خفية . ولكن الحكومة تدرى بها فتنقذها

وهكذا الشأن فى سائر الكتاب . فانها تؤلف القصة لكى تضرب بها المثل على سوء النظام الاجتماعي فى الهند . وميدان المرأة من الميادين الخصبة عندها . فان الهند بلاد شرقية وهى والاقطار الشرقية سواء فى وضع المرأة فى مركز دون الرجل وقد تكون حالها فى الهند أسوأ حال وقعت بها فى الشرق . فانها تحرم هناك من الميراث ويجوز للرجل أن يتزوج أى عدد شاء من النساء . وواضح أن حرمان المرأة من القيمة الاقتصادية يحرمها أيضا من القيمة الاجتماعية . واني أعتقد أنه لو لم تحرم المرأة الهندية من الميراث لما تجرأ الهنود على احراقها عقب وفاة زوجها

ولم تعرف المرأة الهندية النقاب الذى يخفى الوجه . ولكنها عرفت الحجاب فانها لا تختلط بالرجال وهى تعيش فى حرم خاص بالنساء . وهذا الحرم يبنى بحيث لا تنفذ اليه أشعة الشمس ولا يؤذن لها بالخروج إلا قليلا جداً وأكثر خروجها فى الليل . ولذلك يفشو التدرن (السل) بين نساء الطبقات المتوسطة لهذا السبب

وتكثر أيضاً أمراض الرحم عند الهنديات لسوء الطرق التى تستعمل فى الولادة . فان النفساء تعد نجسة فهى تنبذ الى غرفة قذرة نائية من المنزل ولا تستعمل سوى الملابس القديمة البالية فتكون النتيجة موت الطفل أو مرضها

ويضاف الى هوان المرأة هذا البغاء الذى تجيزه الهندوكية فان الابوين ينذران بنتهما لكى تخدم فى المعبد فاذا بلغت السابعة أو الثامنة حملت اليه فتصير — من هذه السن — بغيا للكهنة ثم بعد ذلك لسائر الناس

ومن العادات السيئة التى تورثت فى الهند عن التقاليد أن يعقد زواج الاطفال وهم فى الخامسة أو السادسة من العمر . فان الأم تقعد وعلى حجرها ابنها

وكذلك تفعل أم البنت ثم يأتي كاهن من البراهمــة فيعقد بينهما الزواج . وقد تأخذ الأم ابنتها بعد ذلك أو تتركها بمنزل العريس فاذا بلغ الاثنان سن المراهقة استهلكا قوتهما فى وقت يحتاجان فيه الى ادخارها فينشأ الشاب الهندى منهوكا لا طاقة له على الكد والجهد وتحمل زوجتــه وهي بعد فى الحادية عشرة أو الثانية عشرة فيمتص الجنين دمها ويضنيها بعد أن يولد بالرضاع . ثم هى فى هذه السن لا تصلح للأمومة ولذلك يموت الاطفال فى الهند بكثرة مفزعة

وقد دعت الجمعية التشريعية الحكومة الى سن قانون يمنع زواج الاطفال. وقد سن هذا القانون ولكن الجمهور لا يزال يمارس هذا الزواج لان العقوبة المقررة له هى غرامة غير فادحة . ولذلك لا بد من تربية الجمهور حتى يدرك الاضرار التى تصيب صحة الهنود وقواهم من هذا الزواج

وفى مثل هذه الظروف يهون شأن المرأة هوانا عظيما وينشأ الهندى وهو لا يدرى معنى للحب بين الجنسين إذ هو لا يعرف غير الغلمة. كما يهون شأن الام فلا تكون للتربية البيتية القيمة التى لها فى الاقطار الاوربية

ومن هنا نعرف السبب لان زعيما كبيراً مثل غاندي لا يقصر جهوده على الحركة السياسية وطلب الاستقلال بل يتجاوزها الى الحركة الاجتماعية فيطلب تحرير المرأة ومساواة المنبوذين بسائر الهندوكيين. فان نكبات الهند الاجتماعية ليست دون نكباتها السياسية بل قد تكون أفظع

الدستور الجديد

فى الهند الآن «جمعية تشريعية» تشبه مجلس شورى القوانين عندنا قبل سنة ١٩١٠ . وقد أثمرت الحركة الوطنية الهندية تسليم الانجليز بشىء من مطالب الهنود . وعقدوا مؤتمرى «المنصدة المستديرة» وأخرجوا مشروع الدستور الجديد الذي سينتخب علي مبادئه برلمان هندي فى سنة ١٩٣٥

ويقال ان «المؤتمر الوطني الهندى» وهو الذى يقوم فى الهند مقام الوفد عندنا ينوي الدخول فى انتخابات هذا البرلمان فى العام القادم بعد أن قاطع الدستور الجديد . وقد يبدو هذا انهزاما فاذا كان الامر كذلك فلن تطول الهزيمة

وقد حارب الانجليز هذا المؤتمر وصادروا أموالهوا اعتقلوا زعماءه . وسنوا قانونا باعدام من يحمل السلاح بنية القتل ولو لم يرتكب جناية القتل

وجلدوا فى العام الماضى أكثر من خمسمائة وطنى وبلغ عدد من اعتقلوهم فى العام الماضى فى اقليم بنغال وحده نحوه ٢٠٠٠ وطنى

ومن أحسن العلامات التى تدل على الصحة فى جسم الامة الهندية أن المؤتمر الوطنى الهندى ينظر الي الحركة الهندية نظرة غاندى وهو اذا كان قد قدر الدخول فى الانتخابات للبرلمان الذى سيعقد فى العام القادم فليس ذلك اقتناعا بأنه أمثل الانظمة للهند بل تطلعا الى الحصول على ماهو أحسن منه عن طريقه.

وتنحصر انتقادات المؤتمر للدستور الجديد فى ثلاثة أشياء هي :

١ — ان الذين وضعوه هم الانجليز لا الهنود

٦ — انه غير ديمقراطى

٣ — ان المسئولية المالية فيه غير صحيحة

أما عن النقطة الاولى فان الانجليز يقولون انهم استشاروا الهنود وعقدوا مؤتمرى المنصدة المستديرة لهذا الغرض . ولكن الهنود يقولون ان الانجليز

جمعوا أناسا من هنا وهناك وتركوا رجال المؤتمر الهندى الذى يمثل الامانى الهندية . وزيادة علي ذلك ليس من حق الانجليز أن يسنوا دستوراً للهند

وأما عن النقطة الثانية فان الهنود يقولون أن ثلث المقاعد فى المجلس سيخصص للامراء وهناك مقاعد أخرى للطبقات الممتازة . وهذا مع ضمان بعض المقاعد للطوائف الدينية . فاذا انتخب المجلس على هذه الاسس أصبح يمثل الطبقات العليا فى الامة . وهى طبقات لاتشعر بهوان المنبوذين أو فاقة الفلاح أو شقاء العمال أو عبودية المرأة . والهند الناهضة التى درست مبادىء غاندى تريد نهضة الشعب بالبرلمان المنتظر وهذه النهضة لاتتحقق على أيدى السادة الذين يستغلون الامة ولا تبلغهم شكاياتها . بل الارجح أن هذا البرلمان سوف يزيد قوة الامراء علي ماهي عليه الآن

وأما عن النقطة الثالثة فان الدستور ينص علي أن وزير المالية سيكون مسئولا أمام البرلمان عن ٢٠ فى المائة فقط من الميزانية . وانه لا يجوز له أن يعترض على نفقات الجيش أو مرتبات الموظفين وعلى بعض مصالح أخرى . وكل انسان يعرف أن البرلمان لاقيمة له بتاتا اذا لم تكن له الرقابة التامة على أموال الدولة لان هـذه الرقابة تمكنه أن يعطل أى مصلحة أو يلغى أى منصب لا يأمن القائمين بهما . وهذا كلام يعرفه التلاميذ الذين قرأوا تاريخ الدساتير . ولـكن الانجليز يريدون أن يغلوا حتى هـذا البرلمان الذى سيكون ثلث أعضائه من الامراء عن الرقابة لاموال الدولة

ومن هذه البيانات المقتضبة يتضح للقارىء أن هذا البرلمان الذى سيعقد فى العام القادم هزيل وهو أشبه الاشياء بالجمعية التشريعية التى كانت فى مصر قبل الحرب الـكبرى

الجزء الثانى

حياة غاندى وفلسفته

حياة غاندى

يقرأ الانسان حياة غاندى فيجد فى هزائمه وانتصاراته ذلك الالهام الذى يجده فى الكتب المقدسة أو فى الاساطير التى أنشأها عظماء الادباء لكى يرسموا فيها الصور الرائعة للمثل العليا للانسانية . وأنه لمن أحسن حظوظنا أننا عشنا فى زمن رأينا فيه رجالا ونساء يخدمون البشر خدمة الاخلاص والوفاء لا يبغون من وراء ذلك مصلحة شخصية لأنفسهم من مال أو وجاهة أو نفوذ . فهذا ولسون مات بيننا وهو يدعو الى جحد الحروب التى كان يتمجد بها أسلافنا وقد أفلح فى تأسيس عصبة الامم . وهذه المسز بيزانت تدعو الآن الى الروحية وترفعنا فوق الانانيات الصغيرة وهى مع انها انجليزية تقود الهنود لمقاومة الانجليز . وهذا تولستوى الذى عاش بيننا كأنه أحد الملائكة . ثم هذا غاندى الذى يدافع الآن عن الكرامة الانسانية فى وجه المدافع الانجليزية

وهؤلاء العظماء يثبتون لنا أن زماننا ليس بذلك الزمن المادى الذى توهمنا الظروف اننا نعيش فيه بل اننا نصبو الى الروحية ونضع الكرامة الانسانية فوق اعتبارات المال والمصالح الشخصية . والزعيم يمثل فى شخصه ومبادئه أمانى الامم وخواطرها السامية . ولذلك فان بذور هذه المثل العليا التى ننشدها وما زال ينشدها أمثال تولستوي وغاندى والمسز بيزانت هي كائنة فى قلوب جميع الناس وانما نبتت وبسقت فى قلوب الزعماء لان مهمة العبقرى أن يوضح للناس ما غمض فى نفوسهم من الامانى السامية التى يحسون بها ولا يستطيعون التعبير عنها . ولا يمكنه أن يخلق شيئاً جديداً ليس ن نفوسهم

فانا وانت وجميع الناس ننطوي على هذه البذور الشريفة التى نزعت بغاندى وولسون وتولستوى والمسز بيزانت وأمثالهم الى الرقي النفسى والاخلاق .

فهم القمة التى لم تكن لو لم نكن نحن لها القاعدة . ولذلك فمهما رأينا من الظلام والظلم ومهما حاطنا من الحيوانية والتوحش ومن اللؤم والدناءة فاننا يجب أن نثق بفوز الانسانية والشرف والعدل والنور . وهل تريد برهاناً على ذلك أكبر من أن جميع شعوب الارض تعرف الآن اسم غاندى هذا الرجل الفقير بل المعدم الذى يسير عارى القدمين حاسر الرأس وتخصه بأكرم مكان فى قلوبها بينما هى تجهل كل الجهل أولئك الامراء والملوك والسلاطين الذين يتقلبون فى الديباج والجواهر ويحكمون الملايين من الهنود ؟

أليس فى هذا البرهان على أن نفس الانسان قد تطورت وأنه صار يضع القوى المعنوية : قوى الحق والعدل والنزاهة والشرف . فوق القوى المادية : قوة الجيوش والمال والبطش والسلطان؟

* * *

يخطر ببالى وأنا أقرأ حياة غاندي ذكرى هؤلاء القديسين الذين تذكر تواريخهم الكنائس المسيحية . فمن عادة الكنيسة الكاثوليكية انها تقرر من آن لآخر انها قدست أحد الناس أى أدخلته فى زمرة قديسيها وأعطته رتبة دينية لا يعلو عليها سوى رتبة الانبياء . وقد فعلت ذلك بجان دارك التى قتلتها الكنيسة أولا بتهمة الهرطقة ثم عادت بعد ٣٠٠ سنة فاعترفت بخطئها وأعلنت أنها من القديسات المسيحيات

وقد يجلب هذا العمل ضحك المستهزئين لأن القداسة تقرر بقرارات يقوم بها البشر . ولكن اذا نحن تأملنا المغزى من هذا العمل وجدنا فيه أحسن صلة تصل بين الدين والدنيا تكسب الدين حياة كما تكسب الدنيا تقوى وتجعل الكنيسة تعترف للناس بأن القداسة فى مقدور كل انسان يريد خدمة الناس والانتقال بهم الى أطوار أخلاقية أسمى مما عرفوا فى سابق تاريخهم . وعلى هذا كان يجب أن تكون لنا هيئات دينية تعترف لأمثال غاندي وتولستوى وولسون بالقداسة وتحفظ أقوالهم فى كتب مقدسة ينشأ عليها الصبيان فى

المدارس ويتدارسها الشبان فى الجامعات ويحاول الزعماء أن يوضحوا مراميها أو يسموا عليها بتعاليم جديدة

***

ولد غاندى فى ولاية هندية صغيرة فى غرب الهند تدعى كثياوار سنة ١٨٦٩ وكان أبوه رئيس الوزارة فى هذه الولاية ولكنه كان من الصدق فى الخدمة والنزاهة فى المعاملات المالية بحيث لم يترك بعد وفاته إلا القليل من المال لأولاده. وقد تعلم غاندى من أبيه الصدق والصلابة كما تعلم من أمه التقوى. وكان ضئيل الجسم فى صباه كما هو الآن فى شيخوخته. ودخل مدرسة ابتدائية فلم يتقدم فيها كثيراً. والعادة الفاشية بين بعض الهندوكيين أن يقتصروا من الطعام على الخضراوات وما تنتجه الارض دون طعام اللحم. وسار غاندى على ذلك مدة ولكن عندما رأى ضعفه خطر له أن يأكل اللحوم ووجد من نصيحة صديق له ما قواه على ذلك ولكنه عاد فندم علي مخالفته للدين ولم يسترح إلا عندما اعترف وطلب الغفران

وتزوج على عادة الهنود وهو فى الثالثة عشرة وكانت زوجته أصغر منه سناً. ثم عزم على السفر الى انجلترا لدراسة الحقوق فوجد من أهله مقاومة كبيرة لأنهم خشوا عليه تلك الغوايات التى يقع فيها الشاب الاجنبى فى وسط متمدن مثل لندن ولكنه تغلب على معارضتهم وسافر بعد أن شرطت عليه أمه ألا يعرف اللحم أو النبيذ أو المرأة

ولقى مشقة كبيرة فى لندن فى اختيار طعامه لان الناس كلهم تقريباً يأكلون اللحم ولذلك فانه كثيراً ما كان يجوع. ولكنه عرف بعد مدة غير قصيرة مطعما نباتياً فلزمه طول اقامته فى لندن. ونال شهادة المحاماة سنة ١٨٩١ وعاد الى الهند. وشرع يمارس المحاماة ولكنه وجد فى نفسه عجزاً كبيراً عن القيام بهذه الحرفة. فقد كان إذا وقف أمام القاضى جمد فلا يستطيع النطق. وعندما تحقق له عجزه بعد تكرار المحاولات أراد أن يترك المحاماة ويشتغل

بالتعليم فعرض نفسه على مدرسة انجليزية لكى يعلم فيها بمرتب خمسة جنيهات فى الشهر فرفضته

وعاد الى المحاماة ولكنه قنع بكتابة العرائض والمذكرات . ولكنه لم يربح كثيراً من هذا العمل . وكان له أخ يشتغل بالمحاماة فى مدينة راجكوت فرحل اليه واستطاع بما لاخيه من جاه ومكانة أن يربح نحو عشرين جنيها فى الشهر بكتابة المذكرات والعرائض

وحدث سنة ١٨٩٣ أن طلبه بعض التجار الهنود فى افريقية الجنوبية لكى يدافع عنهم فى قضية . فسافر وأدى مهمته كأحسن ما يمكنه . وهنا ذهبت عنه عقلة لسانه فلم يعد يشعر بذلك الجمود الذي كان يتملكه ويعقد لسانه كلما وقف أمام قاض . ثم خطر له أن يقيم فى افريقية الجنوبية ويشتغل بالمحاماة وذلك لانه تشجع بما لقيه من نجاح وأخذ فى المحاماة فى المحاكم الانجليزية يدافع عن حقوق التجار الهنود وكان يربح فى العام مبلغاً يتراوح بين ٥٠٠٠ر٦٠٠٠ جنيه

ولكن أرباحه هذه لم تزغ بصره عن مصالح الهنود أو مصالح الانسانية فقد عاش فى افريقية الجنوبية عشرين سنة رأس فيها وحدة من وحدات جمعية الصليب الاحمر لمعالجة الجرحى فى حرب البوير والانجليز . وأنشأ مستشفى وأنشأ عصبة للنقل أي نقل الجرحى . وقد حبس عدة مرات لدفاعه عن الهنود الذين كان البيض من الانجليز والبوير ينزلون بهم ألواناً من الهوان . وكثيراً ما كان يضرب ويبصق فى وجهه لدفاعه عن الهنود بل كاد أوباش الانجليز والبوير أن يقتلوه لو لم تخلصه من أيديهم سيدة انجليزية . وفى سنة ١٩٠٨ عقد غاندى اتفاقا مع الجنرال سمطس بشأن العمال الهنود ولكن بعض هؤلاء العمال اعتقدوا أن هذا الاتفاق لا يرضيهم فتآمروا عليه وضربوه ضربا مبرحاً كاد يموت منه

وحدث له كل ذلك وهو ثابت على مبدئه الذى تعلمه من تولستوى وهو

الا يقاوم الشر بالشر فلم يرافع أحداً من الذين آذوه وضربوه أو أهانوه الي القضاء . وعاد إلى الهند سنة ١٩١٣ فاستقبله الهنود كأنه أحد أبطالهم وذلك لما سمعوا من بلائه فى الدفاع عن المهاجرين الهنود فى افريقية الجنوبية

وكان غاندي شغوفا بتعاليم تولستوى حتى أنه أنشأ فى افريقية الجنوبية ضيعة أطلق عليها اسم « عزبة تولستوى » يتعاون فيها العمال على العمل والخدمة الحقة دون النظر للتمايز فى الامتلاك والريع . وقد افلح فى إدارة هذه العزبة على مبادىء تولستوى . وقد أداه شغفه بتولستوى الى درس المسيحية فأحبها وهو يتلو الآن آيات الانجيل كأنه أحد المسيحيين بل هو يجعل من حياة المسيح ومبادئه حجة دامغة لادارة الانجليز فى الهند . وأخذ منذ رجوعه الي الهند يدافع عن حقوق العمال وخصوصاً الفلاحين المساكين الذين يستغلهم المالكون والتجار استغلالا قاتلا . وكذلك أخذ على نفسه الدفاع عن عمال المصانع . وقد وضع هذه القواعد لكى يراعيها العمال فى اضرابهم : —

١ — الا يلتجىء العمال الى العنف والبطش بأية حال

٢ — الا يأذوا العمال الاغراب الذين يأتى بهم أصحاب المصانع

٣ — الا يعتمدوا على الصدقة وقت اضرابهم

٤ — أن يصمدوا ويعملوا أى عمل آخر شريف يعيشون منه مدة الاضراب

وحدث أنه وجد ضعفاً من العمال المضربين فى أحمد باد فأعلن عزمه بينهم بأنه سيصوم عن الطعام حتى يسوي الاضراب . وصام ثلاثة أيام وتمت التسوية ومن ذلك الوقت صار يصوم كلما رأى تهاوناً من أتباعه وذلك لأنه وجد أنه يستطيع أن يخجلهم بما يتحمل من آلام ومشقات حتى يتحملوا هم ما يتجلدون به وقت الازمات

وبقى غاندي الى سنة ١٩١٩ وهو يقول بوجوب الولاء للامبراطورية

البريطانية وأن حكم الانجليز هو الحكم الذي يجب أن يبقى وتتحدد فيه الولايات الهندية وقصاري ما على الهنود أن يطلبوا الاصلاح والتدرج الي الاستقلال الداخلى بحيث تصير الهند مثل استراليا أو كندا أى قطرا مستقلا داخل الامبراطورية ٠ ولكن حدث فى تلك السنة أن شغب الناس واشتد الشغب فى مدينة امريتسار حتى قتل عدد من الانجليز رجالا ونساء ٠ وعلم الجنرال داير الانجليزى أنه سيعقد اجتماع علنى فى أحد الميادين فحصر المجتمعين وأغلق بالجنود نوافذ الميدان ثم أطلق النار على المجتمعين فحصدهم حصداً فى مدة عشر دقائق . وقد اعترف هذا الجنرال السافل فى التحقيق أنه كان يمكنه أن يشتت المجتمعين دون أن يحتاج الي قتل واحد منهم ولكنه تعمد القتل لكى يلقن الهنود درساً فى احترام السلطان البريطانى ٠ وهذا الدرس هو قتل ٤٠٠ هندى اعزل

وانتهت هذه المجزرة بطرد داير من الجيش الهندى ٠ ولكن الانجليز المقيمين فى الهند جمعوا له ١٠٫٠٠٠ جنيه وسيفاً من الذهب أهدوه اليه ٠ هذا من جهة ومن جهة أخرى صار جميع المعتدلين الذين كانوا يقولون بتدرج الهند للحكومة الذاتية يطلبون الاستقلال التام وعلى رأسهم غاندى الذي وصف الحكومة الانجليزية فى الهند بأنها حكومة الابالسة

ولكن من الآن أى الى سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ كان المسلمون يخشون حركة الاستقلال الهندى لأنهم قلة فى جانب كثرة من الهندوكيين ٠ وكل من الطائفتين تكره الاخرى كراهة صماء عمياء ولكن حدث أن الحلفاء ضيقوا الخناق على تركيا وكانت فى ذلك الوقت « الدولة العثمانية » أى دولة الخلافة ولما كانت بريطانيا على رأس الحلفاء فى حركة تمزيق الدولة العثمانية هاج المسلمون الهنود علي الانجليز ووجدوا من عداوتهم لهم ما يربطهم بالهندوكيين فى طلب الاستقلال فاتحدت الطائفتان من ذلك الوقت ٠ وشرع غاندى من ذلك الوقت يفكر فى الطرق التى يجب على الهنود اتخاذها لحركة العصيان

المدني . وقد لجأ أولا الى التجار والموظفين فوجد منهم صدوداً فعمد الى الشبان والطلبة وناشدهم الوطن فلبوه واستجابوا لدعوته وهم الي الآن الطائفة التي يعتمد عليها في قيادة الشعب

وقد اتخذ العصيان المدنى جملة أشكال . فكان أول أشكاله مقاطعة الاقمشة الاجنبية وجمع غاندي ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠ روبية لتغذية هذه الحركة . وقد أراد أن يجعلها تسير في طريق السلم ولكن الحركة خرجت من سيطرته فاتجهت نحو العنف ووقع الشغب في أماكن مختلفة وقبضت السلطة البريطانية عليه . وقد عومل في المحكمة بالاحترام إذ وقف له القاضى الانجليزى وشاوره في الحكم . وهذه أغرب حادثة حدثت في تاريخ القضاء في العالم إذ يستشير القاضى المتهم في شأن العقوبة التي يريد أن ينزلها . ولم يكن بين الاثنين خلاف بشأن الوقائع والتهم وان كان الخلاف بشأن المباديء . أو كما قال الاديب الفرنسي رومان رولان أنه كان بينهما صراع : غاندى يمثل الكرامة الانسانية والقاضى يمثل الامبراطورية البريطانية

وقال القاضى : أنت تعرف أن طيلاك عوقب بالسجن ست سنوات لأقل من هذه التهم التى اتهمت بها

فقال غاندى : انك تكرمنى أعظم اكرام حين تضعني في صف الوطنى طيلاك وتكرمنى أيضاً حين تعاقبنى بعقوبته

فحكم القاضى بالحكم وهو يقول أنه لن يسر أحد بمثل سروره حين يعرف أن الحكومة قد خففت الحكم

قال المستر بيرسون : « أن محاكمة غاندى ودفاعه هاقصة تؤثر وتحفظ كما تحفظ آيات الكتاب المقدس أو محاكمة سقراط »

ودخل غاندى السجن فى مارس سنة ١٩٢٢ وخرج فى يناير سنة ١٩٢٤ لان الانجليز خجلوا من حبسه ست سنوات لأنه يدافع عن وطنه

التقاليد القاتلة

الاصـل فى التقاليد انها عادات نشأت لمصلحة معينة ثم تقادم عليها الزمن فاشتبكت بالدين وأصبحت لها حرمة ورعاية فى النفس فتحجرت ولم يعـد أحد يجرؤ على تنقيحها . وهى فى هـذا التحجر تؤذى الأمة التى تخضع لها . وذلك لان الحياة يجب أن تكون حرة تقبل التحول والتطور ولا تجمدو تتحجر بالتقاليد

وقد نشأت فى الشرق تقاليد تهين الكرامة الانسانية . ولا تزال الامم الشرقية حتى الراقية منها مثل اليابان تئن منها . فقد ذكر الاستاذ محمد ثابت فى رحلته الى اليابان كيف يتفشى البغاء فى تلك البلاد وكيف يقدم رب البيت لضيفه بغيا تقضى معه ليلته . وقد كان قبل ذلك يرى من التقاليد أن يقدم زوجته

وإذا تركنا اليابان رأينا الصين بتقاليدها الحجرية . فان الصينيين قصروا المرأة على الخدمة فى الفراش . وهم لهذا السبب لم يروا فائدة فى نمو قدميها . فكان من تقاليدهم أن يربطوا قدمي الصبية الصغيرة حتى يكف نموها . وهذه الاربطة كانت تشد حول القدم فتقف حركة الدم فتتألم الصبية وقد تقضى الليـل كله وهي لا تنام من فرط الألم . فاذا ما بلغت العشرين وهي فى هذا الوجع فرح بها أبواها المغفلان وتباهى كلاهما بأن قدم ابنتهما لا تزيد على قدم الطفل . وهي عند ما تتزوج يذكر صغر قدميهـا بين محاسنها مع أنها لا تستطيع ان تنهض من فراشها ولا تنتقل من مكان الى آخر الا وهى محمولة . وأحيانا عند ماتبلغ الثلاثين أو الاربعين تكون الاربطة المشدودة حول القدم قد تجاوزت غايتها . فتموت القدم وتسقط عن الساق كما تموت يد المجذوم وتسقط عن الذراع

والاصل فى هـذه التقاليد أن الصينى لم يبغ من المرأة الصينية انسانا له حقوق الانسان وانما قصد منها الى خادمة ملازمة للفراش . وقد نجح وكان فى نجاحه سقوط الصين

والآن يقوم الشبان المجددون فى الصين بهدم التقاليد . وقد نجحوا أيضاً فى هدمها ، ولذلك شرعت الصين تنهض وتدخل فى عداد الامم المتمدنة

ثم انظر الى الهند . فقد كان من تقاليدها إلى بداية القرن الماضى أنه عند ما كان الزوج يموت يأتى بأرملته وهى حية فتحرق مع جثته . وكان هذا عندهم من الدين . وقد كفوا عن ممارسة هذه العادة ولكن لا يزال من بقاياها كراهة الارامل والتشاؤم منهن ومعاملتهن أسوأ معاملة . والارامل لا تتزوج الى الآن فى الهند

وإلى الآن لا يزال من تقاليدهم نوع من البغاء الدينى . فان الهندوكى المؤمن ينذر ابنته لخدمة المعبد . فاذا بلغت سن الصبا حملها اليه فتصير بغيا لرجال المعبد . فاذا تجاوزت سن الشباب والجمال طردوها منه فتعود بغيا لسائر الناس. وقد أعلن غاندى الحرب على هذه التقاليد وهو لا يزال فى المعمعة لم يكتب له النصر

ويرى القارىء من هذه الامثلة أن المرأة فى اليابان والصين والهند لقيت ولا تزال تلقى ضروبا من الهوان لا يلقاها الحيوان . وهى رويداً رويداً يزاح عنها هذا العبء على أيدى الشبان المجددين الذين يهدمون التقاليد ويفكرون فى مصالح المستقبل دون حرمة الماضى

وأخيراً نجد من التقاليد هذه النجاسة التى تنسب إلى نحو ستين مليوناً من الهنود هم المنبوذون . فان هذه التقاليد العجيبة تقول بحرمانهم من الحقوق الانسانية البسيطة . ويجوز للهندوكى أن يلامس التيس والعجل والخروف فلا يتنجس ولكنه يتنجس إذا لامس هذا الانسان الذى يسميه منبوذاً

لقد استطاع غاندى أن يؤلف من الامة الهندية اجماعا على طلب الاستقلال ومكافحة الاستعمار . ولكنه وجد بعد أربعين سنة من الجهاد ان التقاليد تذل الهند أكثر مما يذلها الانجليز . وهو عند ما يصوم من أجل المنبوذين يحاول أن يؤلف اجماعا آخر لمحو النجاسة من الهند

والشرق ينهض عند ما يمحو هذه التقاليد المذلة . وهذا الغرب المستعمر لن يحترم الشرق حتى يحترم هذا الشرق أبناءه رجالا كانوا أم نساء فيساوى بين الرجل والمرأة وبين المنبوذ والمقبول

نحن والحركة الغاندية

يجب على كل أمة منكوبة بالاستعمار أن تنتفع بتجارب الامم الاخرى التى زاملتها فى هذه النكبة ٠ وهذه الهند قد كابدت من الاستعمار البريطانى أكثر مما كابدنا ثم هى كافحته بأحسن مما كافحناه فيجب علينا أن ندرس الطرق والوسائل التى اتخذتها لعلنا ننتفع بها أما بمجاراتها وأما بالاهتداء فى ضوئها الى ما يوافق فى بيئتنا

ومحور المقاومة فى الهند هو غاندي أو بكلمة أدق هو الغاندية . لان غاندى الآن أصبح مذهباً وطريقاً وفلسفة ومبادىء وطنية معينـة بحيث قد تضاءل شخصه أمام مجهوداته الكثيرة كأنه الشجرة يكثر حملها فلا يكاد يراها الانسان لوفرة ما عليها من الثمر

ومع كثرة ما قام به غاندى يمكن حصره — من حيث النوع لا من حيث المقدار — فى شيئين :

الاول : دعوة الى الاستقلال النفسي والاعتماد على القوة الروحية وما يتبعها من تقشف ونسك ٠ وليست المقاومة السلبية إلا جزءاً من هذه الدعوة لان الشخص المقاوم يجب أن يقابل الحبس والمصادرة والاهانة بقلب جرىء ونفس بشوش استناداً الى ما فى نفسه من مدخر القوة الروحية واعتماداً على أن ما يقع به هو السبيل الي خلاص الهند

والثاني : دعوة الى الاستقلال الاقتصادى باتخاذ المغزل وايثار القماش الهندى على جميع الاقمشة الاجنبية الواردة الى الهند وهذه الدعوة قد انتهت الى نتيجتها المنطقية وهى مقاطعة البضائع الانجليزية واحراقها أحيانا ٠ ويرمي غاندي من هذه الدعوة الى غرضين هما تزويد الفلاح الهندي بعمل يعود عليه بالكسب فيخفف عنه فاقته ثم قطع الطريق على المستعمرين بمنع الفائدة التى

تعود عليهم من رواج بضائعهم حتى تتعارض مصلحتهم التجارية مع الاستعمار

فاما الدعوة الاولى فتكاد تكون هندية فى أصلها وغايتها وتربتها . فان روح الهند هى روح النسك و« الفقير » الهندي هو طراز آدمي لاوجود له فى أي بلاد أخري . وهو رجل يمزج بين الفقر والشحاذة والصوفية والنسك وايلام الجسم . وكلنا يذكر أن الناسك شخص يتكرر وروده فى حكايات كليلة ودمنة ذلك الكتاب الهندى المعروف . وفى المزاج الهندى استعداد لهذه الدعوة ونزوع اليها . وغاندى هو قبل كل شىء ناسك وهذا الذى أحبه فى ثورو أو تولستوى أو المسيحية هو أيضاً روح النسك فى هؤلاء جميعاً . بل هو أكثر من ناسك لانه لم يقنع بمسوح النساك بل ارتضى لنفسه تلك الشملة التى لا يلبسها غير الجبارية المنبوذين

والنسك هو النظر السلبى للحياة . ونحن أبعد الناس عن هذا النظر . ومزاجنا هو المزاج الايجابى نحب الاستمتاع ونقبل على الدنيا ونستجيب لدواعيها بنعم وليس بلا . ومن العبث لذلك أن نطالب أمتنا بمقاومه الاستعمار بالتقشف والقناعة . وقد يجوز لنا هنا أن ننسب روح النسك الشائع فى الهند الآن كله أو بعضه الى الفاقة . فان الهند بلاد الفاقة والقحط منذ أقدم الازمنة إلي الآن . وقد جعلت من ضرورات العيش فضيلة ومن الحرمان الطبيعى نسكا دينياً . ولكننا ونحن نقول ذلك نؤكد أيضاً هذه الحقيقة وهى أن فى الطبيعة الانسانية نزوعا الى النسك وعزوفا على المادة وانكفاء النفس على نفسها حين تنشد السعادة والهناء فى الداخل بدلا من نشدانها لهما فى الخارج . ولكن هذه الصفات أضعف وأخفى من الصفات البارزة الاخرى أى الاقبال على الدنيا والاستجابة لدواعيها المادية

وأما الدعوة الثانية وهى أن يكون من وسائل مكافحة الاستعمار تحقيق الاستقلال الاقتصادى فهذا هو الذى يجب أن نأخذه عن غاندى ونعمل به . فقد عمم هو المغزل فى القرى الهندية وأهاب بالامة أن تتخذ الملابس الهندية

فاستحدث للهنود كرامة اقتصادية ترفع رؤوسهم وتجرئهم على الاقدام والاقبال على الحياة . ومتى كفى الهندى نفسه ملابسه فقد كفى نفسه كل شيء لان الطعام وفير فى تلك البلاد التى تعيش بالزراعة . ومتى كفى نفسه وأصبحت نقوده لا تبرح جيبه الى جيب الاجنبى وأصبح قطنه لا يخرج من الحقل الا الى المغزل ومن المغزل الى النول لم يعد للاستعمار أى سلطان عليه . إذ ليس شيء فى العالم يهدم الاستعمار مثل الصناعة الوطنية . ثم ليس هناك مجهود أصح وأسلم وأبقى مع الايام فى مكافحة الاستعمار من المجهود الاقتصادى . وذلك أنه متى أثرت الامة واعتمدت على نفسها فى التجارة والصناعة أمكنها أن تعلم نفسها وأن تجعل الاجنبى غريباً فى بلادها

ولكن غاندى جعل المغزل محور الكفاح الاقتصادي فى الهند وقد أصبح هذ المغزل رمزاً لهذا الكفاح يذكر الشاب الهندى بما يلبس ويأكل كما يذكره بالتاجر الذى يعامله والقهوة التى يقعد عليها والاثاث الذى يؤثث به بيته والجواهر والمصوغات التى تتزين بها زوجته

ونحن نحتاج إلى مثل هذا الرمز ولكننا لا نستطيع أن نستعمل المغزل لان العامل المصرى على شيء من اليسر يجعله لا ينتفع بالغزل اليدوى . وإذن يجب علينا أن نمسك الحبل من الطرف الآخر ونجعل النول رمزاً للكفاح الاقتصادى . وقد عرفنا باختباراتنا الحديثة أن النول المصرى يمكنه أن يصمد للمزاحمة أمام النول الاوربي وأن تباع المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية بأثمان حسنة

وإذن يجب علينا أن نعمم النول فى القرى بين الفلاحين رجالهم ونسائهم بل يجب أن نعممه بين جميع نساء المدن حتى يجدن فيه سلوة تنشطهن الى الحركة والعمل بل كى يجدن فيه رمزاً يمنعهن من شراء الاطعمة والرياش والادوات المنزلية الاجنبية

النزعة الانسانية فى النهضات الوطنية

كل نهضة وطنية تنتهي عند ما يستيقظ شعور القائمين بها وتفيض حماستهم الى أن تتخذ شكل المذهب والعقيدة لا للوطن وحده بل للانسانية عامة. وهذه الانسانية تتقبل هذه النهضة وتمزج بها تاريخها وتعمل بمبادئها ٠ وذلك لان ما تقوم به أمة كائنة ما كانت من سن المبادىء الجديدة فى السياسة أو الاجتماع ينتشر منها بقوة ما فيه من حيويه إلى الامم الاخرى فيصبح ملكا عاماً للعالم

ونحن نري هذا عاما فى جميع النهضات الكبرى ٠ فهذه الثورة الفرنسية كادت تكون مقتصرة على تجار باريس وأبناء الطبقات المتوسطة ٠ فلما جاشت الامة بها وازدادت بالتصادم غليانا وحماسة ظهرت المبادىء ٠ فاذا بنا نرى « حقوق الانسان » وليس حقوق « الفرنسيين » ٠ واذا بالثائرين يتعبدون لدين انسانى جديد يريدون تعميمه فى العالم ٠ ثم بعد ذلك نرى أن الامم الناهضة تذكر مبادىء هذه الثورة كأنها مبادئها بل كأن هذه الثورة التى نشبت فى باريس كانت ثورة العالم كله

ونرى مثل ذلك أيضاً فى الثورة الايطالية ٠ فان مازينى زعيمها لم يكن يتكلم عن حرية الايطاليين بقدر ما يتكلم عن حقوق الانسان وحرية الشعوب ٠ وحسب القارىء من مرامي هذه الثورة الايطالية أن نذكر أن قائدها العظيم غاريبالدى كان ينوى تأليف فرقة للقدوم بها الى مصر سنة ١٨٨٢ لمساعدة عرابى ورد عادية الانجليز عنا

وقد كان نابليون طاغية اغتنم فرصة الفوضى التى تفشت عقب الثورة ٠ ولكنه لم يستطع أن يقود الجنود إلا وهو يتعلل بأنه يريد تعميم مبادىء هذه الثورة ٠ وقد خدع العالم المتمدن بهذه المبادىء كما خدع الفرنسيين أنفسهم ٠

وليس يعيب الثورة الفرنسية أنه استغل مبادئها لفتوحاته · فان نابليون مات ولم تمت مبادىء الثورة

ونحن نجد الآن فى النهضة الهندية مثلا بارزاً للنهضات الوطنية التى تتجاوز مبادئها حدود الوطن فتعم العالم كله · وهى انما تعمه لان ضمير القائمين بها قد استيقظ وغلت حماستهم فاخذت هذه المبادىء فى نفوسهم شكل العقيدة والدين ورفعت كل وطنى منهم الى ما فوق نفسه ووطنه · فان غاندى الآن يتكلم عن الانسانية وينزع نزعة عالمية فى كلامه عن الهند وقد وضع من المبادىء السامية لمكافحة المستعمرين ما يسير فى العالم كله وكأنه مبادئه وليست مبادىء الهند وحدها · وذلك لان قضية كل أمة مهضومة هي قضية جميع الامم المهضومة فى العالم فما يهتدى اليه المجاهد فى احداها يعم سائرها ويتفشى فى جميع أقطار العالم · ومن هنا يمكن أن نقول أن الوطنية السامية الصادقة هي نفسها أساس للعالمية لاننا عند ما نخلص للوطن ونجاهد من أجل تحريره نعثر ونحن فى سبيل الجهاد على مبادىء سامية تخدم العالم والانسانية جميعاً

وليس هذا فقط · بل الذى نلاحظه فى تاريخ النهضات الوطنية أن رجلا مثل غاندى عند ما يكافح الاستعمار الانجليزى لا ينسى أن يكافح الاستبداد القومي · وذلك لانه يستوى عنده أن يقع الظلم من الهندوكيين على المنبوذين أو يقع من الانجليز على الهنود عامة · لانه هو لم يدع دعوته لمكافحة الانجليز بل لمكافحة استبدادهم · وهو لذلك لا يمكنه أن يسكت اذا كان هذا الاستبداد يجيء من الانجليزى أو من الهندوكى · وقد وقف وقفته الاخيرة من أجل الكرامة الانسانية بمساواة المنبوذين بالهندوكيين فكان مثلا للبطولة الانسانية التى تذكرنا ببطولة الآلهة فى أساطير الاقدمين

وهذه الصين أيضاً لما نهضت تكافح الاستعمار لم تنس أن فيها استبداداً آخر يقع بالمرأة ويذلها · فكانت الى جنب مقاطعتها للبضائع اليابانية تدعو الى حرية المرأة وتحطم الاحذية الحديدية التى كانت تعوق نمو قدميها وتقيدها مدى

حياتها وتجعلها كأنها بعض أثاث البيت أو بعض الفراش . ومن هنا هذا العطف الذى تجده كل من الصين والهند من العالم كله . فانهما تبدوان وفى كل منهما رغبة صادقة فى الاصلاح الانساني كأنهما تعملان للعالم كله

وخلاصة القول أن الامة التى تكافح الاستعمار لا يمكنها أن تخلص فى هذا الكفاح وتجلب عطف العالم عليها حتى تكون دعوتها لنفسها دعوة للانسانية كلها ومكافحتها للاستعمار مكافحة للاستبداد بأنواعه المختلفة سواء أكان اجتماعياً أم سياسياً أم اقتصاديا . بل هي لن تنجح فى مكافحة الاستعمار الاجنبي إلا إذا كرهته وتحمست فى كراهته وعندئذ تنظر من خلاله الى أنه نوع واحد من الاستبداد ولابد عندئذ من تعميم المكافحة لانواعه الاخرى

conclusion

فاذا كانت أمة من الامم تحارب الاستعمار الفرنسى أو الانجليزى فانها لن تنجح حتى تحارب فى نفسها عادات الاستبداد الاجتماعى أو الاقتصادى سواء أكان يقع بالمرأة أم بالعامل . أى أنها يجب أن تكون نهضتها الوطنية نهضة انسانية أيضاً بحيث تطلب الحرية الاقتصادية أو المساواة الاجتماعية لابنائها ذكورا وإناثا . وهي إذا فعلت ذلك فانها تزكى استقلالها أمام العدو الغاصب المستعمر وتكسب عطف العالم بل هى فى مثل هذا الجهاد تجدد للعالم مبادىء انسانية تحمله الي الامام خطوات

لقد خدمت الثورة الفرنسية العالم بمبادىء انسانية جديدة كما خدمه غاندى بمبادىء أخرى ننتفع نحن بها كما أنها تجذب الى الهند عطف العالم كله . وعلينا نحن فى مصر أن نخدم العالم أيضاً بمبادىء انسانية جديدة

غاندى والمدنية الحديثة

إذا نظرنا الى غاندى وقابلنا بين معيشته وآرائه ونظرته العامة للحياة وبين ما هو مألوف الآن فى الحضارة الغربية من النزعات الثقافية والصناعية الفينا غاندى الخصم المخلص لهذه النزعات . بل يمكن أن يعد فى نظر الغربيين أعظم رجعى فى العالم الآن

ولكن رجعيته ليست تنطعاً وعنتا ومكابرة وانما هي رجعية سارة توقظ الذهن وتحيي القلب وتعيد لنا ذكريات جان جاك روسو وبرناردان دوسان بيير وروسكين وتولستوى وثورو . وهؤلاء جميعهم رجعيون

وذلك ان رجعية غاندى هي فى لبابها دعوة الى الرجوع الى السذاجة الطبيعية وكراهة التصنع والبذخ . فان روسو ذاع صيته فى عالم الادب الاوربى بمؤلفاته التى دعا فيها الي كراهة المدنية والرجوع الى الطبيعة . وقد فتن بدعوته الناس وهيأ الاذهان للثورة الكبرى فى باريس . وكتابه عن التربية ومقالته عن العلم والمدنية كلاهما يمكن غاندى الآن أن يكتبهما ويقول بجميع آراء روسو فيهما

وقد راجت الدعوة الى الطبيعة أيام روسو وظهر أثرها فى مؤلفات برناردان دوسان بيير . ومن أغرب مايذكر هنا أن هذا المؤلف الذي عاصر نابليون قد تخيل السذاجة الطبيعية فى « الكوخ الهندى » الذي يعرف غاندى الآن آلاف الامثال منه

ولكن أغلب الظن أن غاندى لم يتأثر كثيرا بروسو وبرناردان دوسان بيير وذلك لأن ثقافته الغربية تعتمد على أصل انجليزي . وليس هذا الاصل فقيراً فى الدعوة الى الطبيعة والتشنيع على المدنية . فان روسكين عاش حياته فى انجلترا وهو يلعن الحضارة لانها تستبدل بالجياد والعربات قطارا من حديد يصفر ويملأ

الريف بدخانه وضوضائه . وكان هو نفسه اذا أراد التنقل من مكان الي آخر عمد الى جواده أو الى عربته التى تجرها الجياد . وهو أول كاتب حاول أن يوحد بين الاخلاق والاقتصاديات كما يفعل الآن غاندى الذى ترجم الى الهندوكية كتابه فى هذا الموضوع لانه وافق هواه وطابق نزعته

ولكن القارىء لمقالات غاندى المتتبع لسيرته لا يتمالك من الشعور بأن أعظم المؤلفين أثراً فى ذهنه هو تولستوى . فقد أحبه غاندي الى حد أن أسس فى افريقيا الجنوبية « مزرعة تولستوي » وقد كان تولستوى يرى أن العمل اليدوى ضرورة لازمة للاخلاق الحسنة . وكان يصنع الاحذية لاهل قريته . وكذلك يري غاندى الآن هذا الرأى ويغزل وينسج للهنود . وقد بلغ من كراهة تولستوى للحضارة الاوربية أن كان يعلن ويكرر الاعلان بأن الطب يضر الناس . وكراهته للطب هى فى الحقيقة كراهة للعلم . وكذلك يرى غاندى الآن عندما يقول أن الطب من اختراع ابليس . وقد كان فى شبابه قبل أن يصل الى مقام الكشف الذى هو فيه الآن يؤمن بالطب ويتعالج اذا مرض على أيدي الاطباء . ولكنه كف وتاب وأصبح يتعالج بالحمية والاعشاب والفواكه وله من صحته الحاضرة ما يؤيد مذهبه

ولكن لتولستوي أثراً آخر فى غاندى لان هذا الكاتب الروسى العظيم كان يؤمن بأن المبادىء الدينية التى تقول بالرحمة والتضحية هي مبادىء عملية يمكن العمل بها على الرغم من اعتراض بعض الاوربيين بأنها خيالية . ويعرف القراء أن غاندى يمارس الآن هذه المبادىء ممارسة عملية وينجح بتطبيقها فى كسر شوكة المستعمرين

ثم هناك كاتب أمريكى قد تأثر به غاندى كثيراً نعنى به ثورو . فان هذا الكاتب هجر المدن وقصد الى الريف والغابة وقنع بأقل مقدار من الطعام واللباس وهو صاحب كلمة « العصيان المدني » التى نقلها عنه غاندى وعمل بها

هؤلاء هم الكتاب الذين يشعر المتتبع لسيرة غاندى انهم أثروا فيه وجعلوه يجنح الى الطبيعة ويجحد الحضارة الاوربية . ولست أعنى أنه ليس له سوى فضل النقل . فانه عبقرى الذهن ألمعي القلب ينظر الى الدنيا نظراً بكراً ونحن لذلك نقرأه وكأننا نرتوى منه بماء صاف · وخير من أن نقول انه ناقل ان نقول انه تربة خصبة زكت فيها أسمى المبادىء الرجعية الحديثة · وأنا أذكر هنا الرجعية كما يري القارىء وأزكيها لأن كل رجعية تهيب بنا الي العودة الى الطبيعة إنما تستبدل ببذخ المدنية ترفاً جديداً للنفس · وحسبنا ذلك

ولكن لغاندى رجعية أخرى هى كراهة الآلات وايثار الصناعات اليدوية وهذه رجعية لا يمكن الدفاع عنها كما سيرى القارىء

غاندى والمرأة الهندية

لا يحارب غاندى استبداد الانجليز فقط ولا يقتصر على مكافحة الاستعمار بل هو يحارب استبداد الهنود بعضهم ببعض ولا يبالى أن يغضب رجال الدين أو رجال التقاليد فى بلاده حين ينشد المساواة والحرية

ولهذا الزعيم العظيم برنامج داخلى لاصلاح بلاده لخصه هو نفسه فى خمسة أشياء وهى :

١ — محو النجاسة أي مساواة المنبوذين بغيرهم من الهندوكيين فى الحقوق والواجبات الدينية والمدنية

٢ — منع الاتجار بالخمور أو المخدرات فى جميع أنحاء الهند

٣ — تعميم مبدأ المساواة التامة بين الرجل والمرأة

٤ — الاتحاد بين المسلمين والهندوكيين

٥ — تعميم المغزل فى القرى

والقارىء يرى فى مقدمة هذا البرنامج مسألة المنبوذين . وقد استطاع غاندي بما يسميه « قوة الروح » أن يبدل رأى الهنود فيها وأن يمحو تقاليد دامت فى الهند دوام اللعنة نحو ثلاثة آلاف سنة . وليس شىء فى الهند هو أجرح لكرامتها الانسانية كما يزيد فى هوانها أمام نفسها وأمام الاجنبى ، بعد مسألة المنبوذين ، مثل مسألة المرأة . ولذلك ليس غريباً أن يخصها غاندى بعنايته ويطلب تحريرها ومساواتها بالرجل واليك شيئاً مما تكابده المرأة الهندية من الهوان الذى تقتضيه « التقاليد » :

فى الهند ينذر بعض الاباء المتدينين احدى بناتهم للخدمة فى أحد المعابد

فاذا بلغت البائسة التي نذر بها سن الثامنة أو التاسعة حملت الى المعبد حيث تعيش في خدمة البراهمة . وهي هناك تؤدى ما تؤديه البغي عندنا . وهي لا تفعل ذلك لخدمة رجال المعبد فقط بل لسائر الناس . فاذا ذهب جمالها في الثلاثين أو الخامسة والثلاثين تركت المعبد واصبحت بغياً عامة في الحى الخاص بهؤلاء البائسات في احدى المدن

ويظن بعض المؤرخين ان للبغاء أصلا دينياً لان ارصاد الفتيات لخدمة المعبد في الامم القديمة كان عاما . فاذا كان الامر كذلك فكل ما تختلف فيه الهند من سائر الامم انها حافظت على « التقاليد » أكثر من غيرها . فبينما الامم تجعل البغاء الآن مدنيا وتحاول الغاءه تجعله الهند دينياً وترعاه لانه من « التقاليد »

واذا عرفنا طهارة النفس التي يتسم بها غاندى وسمو المبادىء الانسانية التي ينشدها ادركنا استفظاعه العظيم لهذه التقاليد ومكافحته لها . وهو لذلك يطلب في رأس مطالبه للمرأة الغاء البغاء سواء أكان دينياً أم مدنيا . وهو يطلبه بأشد لهجة حيث يقول :

« يجب على كل رجل منا أن ينكس الرأس خزيا ما دمنا نرى امرأة بغياً واني لاوثر أن أرى النوع الانساني ينقرض كله من العالم على أن أراه أحط من البهائم حين يجعل أشرف ماخلقه الله هدفا لشهواته . وليس البغاء مسألة الهند وحدها إذ هو مسألة العالم كله . واذا كنت أشير على الناس بأن يكفوا عن الحياة المتكلفة والملذات الشهوانية ويعودوا رجالا ونساء الي الحياة الساذجة التي تتلخص في الدعوة الى المغزل فانى أفعل ذلك لانى أعلم أننا إذا لم نعد الى السذاجة ونمارسها بذكاء وعلم فاننا سننحدر الى ماهو أحط من البهيمية »

ثم هو يحمل بعد ذلك على التقاليد التي سنت للناس زواج الفتاة أو الصبية الصغيرة . ويقول هنا : « انى أرغب رغبة حارة في أقصى الحرية للنساء واني أمقت زواج الصغار وأرانى أرتعد أسفاً كلما سمعت عن صبية أرملة كما انى احتدم

غيظا كلما سمعت عن زوج أرمل يعقد لنفسه زواجا آخر وهو لا يبالى ما يفعل »

وهو يشير هنا الى «الصبية الارملة» لان العادة الفاشية فى الهند أن الرجل المسن اذا ماتت زوجته تزوج فتاة أخرى قد تكون صبية . فلا تمضى سنوات حتى يموت هو شيخوخة أو هرما . أما الصبية فتبقى مدى حياتها أرملة لا يجوز تزوجها

ويرى غاندى أن تعطى المرأة جميع حقوق الرجال . وهو يقول هنا . « يجب أن يكون للمرأة حق التصويت وان تستوى والرجل فى الحقوق الشرعية . . »

وهو هنا غربى لاغش فيه لان الشرق كله — باستثناء تركيا — لم يعرف قط هذا الكلام

ثم هو ينصح بعد ذلك للمرأة أن تكف عن زينة جسمها بل يجب ألا تتزين حتى لزوجها اذا أرادت من الرجال أن يقلعوا عن التعبد لجمالها الجسمى وان يذكروا ان لها جمالا روحيا .وهم اذا ذكروا ذلك نظروا اليها نظرة الجد والاحترام فعملوا لتعليمها وتربية أخلاقها

والمرأة الهندوكية تتحجب ولكنها لا تتبرقع . فهى لا تجالس الرجال ولها ناحية فى البيت تفصلها من الاختلاط برجال البيت أو ضيوفه . ويرى غاندى أن يلغى الحجاب الغاء تاما . ولما كان فى سيرماتي قبل أن يسجن لم يكن يعرف الفصل بين الرجل والمرأة ، بل كان الجميع يعملون مشتركين

ثم هو ، لكى يؤكد المساواة بين الجنسين ، يري ضرورة التعليم المشترك أى أن تتعلم الفتاة الى جنب الفتي فى فرقة واحدة

وليس شك أن غاندى يلقى من الرجعيين فى الهند معارضة قوية لارائه عن المنبوذين وعن المرأة . ولكنه يقهرهم بقوة روحه أو سمو انسانيته . ثم هو

يستهوى الشبان الذين ينشدون هنداً جديدة . فهم على الدوام الى صفه ضد الرجعيين

ولو أن زعيما من زعمائنا فى مصر دعا الي حرية المرأة ومساواتها التامة بالرجل لوجد من شباننا سنداً قويا لا قبل للرجعيين بمناهضته

ولو أنه قام يدعو إلى إصلاح حال المنبوذين المصريين أى الفلاحين بزيادة حقوقهم الاقتصادية وبناء منازل لهم تكون جديرة بالادميين المتمدنين لوجد الامة كلها عند قدميه تطلب معونته

واذا كان غاندى قد رأى المرأة والمنبوذ هما الخزى والعار للهند فان لنا نحن خزيا وعارا فى الفلاح والمرأة المصرية



عزبة تولستوى

تجربة غاندية فى افريقيا الجنوبية

قضى غاندى تجاربه الأولى فى الوطنية العملية فى افريقيا الجنوبية . وهناك رأى محنته ومحنة بلاده وشرع يدرس الطرق والوسائل لكى يرفع من كرامة الهنود وينزع عنهم نير الذل الذى وضعه عليهم البوير والانجليز فى افريقيا الجنوبية

وهناك شرع فى حضانة هذه الافكار التى أفرخت الآن فى الهند فعرف الكف عن العنف والقوة الروحية والمقاومة السلبية والعصيان المدنى . ولما عاد الى الهند استطاع أن يستعمل هذه الوسائل بعد تجربة طويلة وممارسة مفيدة فى ترنسفال حيث كان يعمل كثير من أبناء الهنود المهاجرين

وقد عرف القارىء ان غاندى تلميذ تولستوى وانه شغف بمبادئه واستملى هذه المبادىء عندما فكر فى خططه السياسية . وقد رأى وهو فى افريقيا الجنوبية ان هذه المبادىء تحتاج لممارسة يومية حتى تخرج من النظريات الى العمليات ورأى أيضا أن هذه الممارسة تحتاج الى نظر جديد للدنيا والى تربية للأخلاق تحتاج الي اعتكاف عن المدن وانكفاف عن مطامعها وحسم للشهوات. ولذلك كله دعا طائفة من مواطنيه وأسس وإياهم « عزبة تولستوى »

ولم يشتر هذه العزبة وانما أخذها هبة من أحد أغنياء الهنود . وكانت تبعد عن جوهانسبرج بنحو عشرين ميلا . وكان بها ألف ومائة فدان وفيها نحو ألف شجرة مثمرة . وإلي هذه العزبة قصد هو وأربعون من الهنود منهم المسلم والهندوكى والمسيحى والبارسى . وكان معهم خمسة من النساء وثلاثة رجال هرمين ونحو ثلاثين صبياً وطفلا

وكان الغرض الاول من هذا الاعتكاف فى هذه العزبة ان يتعلم المقيمون

فيها كيف يتسامحون مع اختلاف الدين أو المذهب . وكيف يرضون بالتعاون ويرون الشرف فى الخدمة سواء فى المنزل أو الحقل . ثم كيف يعيشون وليس لأحدهم مطمع فى أن يتفوق على الآخرين بزيادة فى المال أو الجاه. فاذا استطاعوا أن يقهروا أنفسهم ويذللوا عواطفهم أمكنهم بعد ذلك أن يصمدوا للخصوم وأن يتلقوا الشدائد وهم صابرون قد وطنوا النفس على الفوز الاخير

وصدم غاندى لأول وهلة باختلاف عادات الطعام التى تتعلق بالدين أو المذهب فان كلا من المسيحى والمسلم يأكل اللحم بينما الهندوكى يرى فى ذلك جرحاً لا قدس عاداته الدينية ، فكيف يمكن قوما يعيشون معا ويأكلون على مائدة واحدة أن يتفقوا فى هذا الموضوع ؟

عمد غاندى إلى الهندوكيين فطلب اليهم أن يسمحوا لاخوانهم من المسلمين والمسيحيين بتناول اللحم فسمحوا ورضوا . وهنا رأى غاندى أول امارات النجاح لخططه ، فان هؤلاء حين رأوا تسامح الهندوكيين رفضوا طعام اللحم وقنعوا بالاطعمة النباتية وأصبحت العزبة كلها لا يذبح فيها حيوان ، ثم كان لهذه المجاملة نتيجة أخرى ، فانه عندما جاء شهر رمضان صام المسلمون فرأى سائر الهنود من أبناء المذاهب الاخري أن يصوموا اكراما لاخوانهم فازدادوا بذلك حبا وتوثقت بينهم أواصر الانسانية والاخاء

وكانوا كلهم يخدمون لهم مطبخ كبير يتناوبون الخدمة فيه مع ترك الرياسة والتدبير للنساء ، وكانوا يتناولون طعامهم على مائدة واحدة ، فاذا فرغوا حمل كل منهم اطباقه وغسلها بنفسه واعادها الى المطبخ ، ولم يكن يؤذن لواحد بالشراب أو التدخين

وكانوا يعيشون عيشة ساذجة لا يعرفون غير أقل اللباس وأقل الطعام يعملون نهارهم ، فاذا قضوا عملهم انكفأ الصغار الى المدرسة حيث يتولى تعليمهم الكبار المتعلمون منهم . ولم يكن غاندى متعصبا لمذهبه ، فقد حدث أن تكاثرت

الثعابين فى العزبة وتردد السكان فى قتلها لأن قتل الحى حرام عندغاندىوسائر الهندوكيين وكان بينهم رجل انجليزي قد استهوته هذه المعيشة الساذجة فترك المدينة ورحل اليهم يساكنهم ويعايشهم . ففى ذات يوم رأى فى فراشه ثعبانا فعاد الي غاندى يسأله ماذايصنع به هل يقتله أم يترك له الفراش ، فأشار عليه غاندى بقتله

وفى هذه العزبة تعلم الهنود تلك المباديء السامية التى أزهرت بعد ذلك فى الهند . لأن كلا منهم هزم فى نفسه أنانيته أولا فلم يكن كبيراً عليه بعدذلك أن يهزم فى الانجليز أنانيتهم . وبكلمة أخرى نقول انهم أصلحوا اما بأنفسهم ثم عمدوا إلى غيرهم يصلحونه فكان لهم ماأرادوا

صوم غاندى الاول

صام غاندى فى (مايو ١٩٣٣) من أجل المنبوذين ٢١ يوما فكانت تنبئنا التلغرافات كل يوم عن حالته فيها وكلنا شعر بالقلق على حياته

وقد سبق له ان صام ٢١ يوما أخرى أيضا سنة ١٩٢٤ من أجل الوفاق بين المسلمين والهندكيين . ففى تلك السنة تفاقم الخلاف بين هاتين الطائفتين واشتد التعصب فكثر القتل ودنست المساجد والمعابد من الرعاع . ورأى غاندى أن يرحل بنفسه الي الاقاليم الشمالية حيث كانت المنازعات الطائفية تؤدى كل يوم الى سفك الدماء

وأقام غاندى فى بيت فى دهلى قد أقيمت أمامه سارية الملك أسوكا ، هذا الملك العظيم الذى أرسل الينا فى مصر أيام البطالسة يدعونا الى البوذية ونبذ الحرب وتعميم السلام . وعلى هذه السارية قد كتب بعض أقواله فى الدعوة إلى التسامح فكان اختياره لهذا المكان رمزاً للمهمة التى أرصد نفسه للقيام بها بهذا الصوم وهى الهام النفوس روح التسامح

وهو قبل ان يستقر رأيه على هذا الصوم جاهد لتعميم الوفاق فكان يخاطب الزعماء ويكتب ويخطب . ولكن الاحقاد الدينية لم تخمد . فرأى عندئذ أن يصل إلى ضمير الامة الهندية بأن يعرض نفسه أمام أعينها وهو يتضور ويتألم من أجلها . وقد يموت وهو فى هذه المحنة فيكون موته قاضياً على هذه الاحقاد التى تمزقها وتظلم حياتها . وقد فكر وأعاد التفكير واجتره اجتراراً حتى هداه الالهام الى وجوب الصوم

وغاندي كلما أدلهم خطب أو تفاقمت حال لايرجي لها علاج يخلو الى نفسه — كما فعل الانبياء — فيصلى ويتأمل . وقد فعل ذلك فى سنة ١٩٢٤ ولم يستطع أحد بعد ذلك أن يرده عن قراره . ونحن نرى هذه الايام فى حياة غاندى واصراره علي الجهاد لمحة من حياة الانبياء القدماء

وقد لازمه فى ذلك الصوم صديقه المسلم الدكتور انصاري كما لازمه بعد فى صومه الثاني . وكان حين شرع فى صومه الاول قد أبل من مرضه الذى

احتيج فيه الى اجراء عملية جراحية وقطع الزائدة الدودية . فكان الخوف عليه عظيما لانه كان فى النقه يحتاج الى مايقويه ولانه كان يخشى عليه كثيراً مما يضعفه . ومضت الايام الاولى وهو متماسك متمالك . ولكنه خار فى اليوم الثاني عشر وخفت صوته وغارت عيناه وألح عليه الاطباء فى الافطار . ولكنه رفض . وكان يقول للاطباء : « ثقوا بالله » و « لقد نسيتم قوة الصلاة »

وقال فى ذلك الوقت : « لست أرغب الى مسلم أو هندوكى ان ينزل عن ذرة من مبادئه الدينية . وكل ما أطلب منه ان يعرف ان ما يتمسك به انما هو من الدين . ولكنى اطلب من جميع الهندوكيين والمسلمين ألا يتقاتلوا من أجل الربح المادى . وانى لأتألم أكبر الالم إذا عرفت ان صومى يجعل احدى الطائفتين تنزل عن مبدأ من مبادئها . فان صومي هو مسألة خاصة بينى وبين الله »

واستطاع غاندى أن يمضى ٢١ يوما فى الصوم . واحتفل بافطاره فرتل هو وأصدقاؤه من الهنود بعض الاناشيد الهندوكية . ثم رتل صديقه امام صاحب سورة من القرآن . ثم رتل أصدقاؤه من المسيحيين بعض الاناشيد باللغة الانجليزية وتقدم اليه الدكتور انصارى بكوب من عصير البرتقال فشربه . وكان هذا افطاره فانفض الذين حوله وانكفأ هو الى فراشه حيث نام

* * *

ولا بد ان هذه المحنة التى خرج منها غاندى سليما قد قوته فى اجتياز المحنة الثانية وان كان جسمه قد صار أضعف وأقل تحملا للخطر . وهو اذا لم يكن قد نجح فى ازالة الاحقاد الدينيه فانه استطاع ان يخففها : والنجاح التام الذى لاينقصه شيء لايوجد إلا فى خيال الاطفال : وهو فى صومه من أجل المنبوذين لايطمع فى محو النجاسة محواً تاما ولكنه يرجو التخفيف من أذاها

ومهما استغربنا الطرق التى يتبعها غاندى فى تنبيه الأمة الهندية وإيقاظ ضميرها فاننا لانستطيع الشك فى انه يعرف اللغة التى يخاطب بها أمته كما انه الآن مثل رائع يدعو الي الاصلاح والتقوى والخير والبر

غاندى وفورد

إذا كان فى العالم شخصان يناقض أحدهما الآخر فى مبادئه وأفكاره ومع ذلك نرى لكل منهما مكانا فى قلوبنا ونحبهما على السواء فهما غاندى وفورد

فان غاندى يمثل الشرق القديم كما يمثل فورد الغرب الحديث . ويدعو غاندى بلسانه وسيرته إلى الروحية والزهد بينما يدعو فورد الى المادية والترف . ويكبر غاندى من شأن الضعف وسذاجة الريف بينما فورد يعمل للمدنية ولغته هي لغة الطاقة الكهربائية أو الحرارية . وأخيرا يدعو غاندى إلى العمل اليدوى بينما يدعو فورد إلى الغاء العمل اليدوى من العالم والاقتصار على الآلات

وبكلمة أخرى نقول أن فورد يمثل المدنية الغربية التى تقول بالاستمتاع بما فى الدنيا من أطايب اللذات الحسية والمعنوية وزيادة فراغ الناس لكى يشغلوه بالاستمتاع . وانما يزيد هذا الفراغ اذا هم جعلوا الآلات الضخمة تعمل أعمالهم . بينما غاندى يمثل المدنية الشرقية حين يدعو الي القناعة والنسك وانكار النفس والكد والكدح باتخاذ صناعة يدوية كالغزل مثلا

وأساس المدنية الغربية الآن هو العلم والتجربة . وكلاهما يؤمن به فورد ويعتمد عليه . وقد استطاع بهما ان يخرج فى اليوم الواحد عشرة آلاف أتومبيل من مصانعه وأن يعطي أصغر عامل عنده ٣٠ جنيها فى الشهر وان يوفر له الفراغ الذى يبلغ ١٧ ساعة فى يوم العمل ويومين كاملين فى الاسبوع

وأساس المدنية الشرقية هو الي الآن وكما يفهمه غاندى الدين والتقاليد . وهو لذلك يرى أن الوطنية والحرفة يجب أن يرتكزا على أساس من الدين . واحترامه للبقرة وكراهته للتزاوج بين الطبقات الهندوكية يدلان القارىء على تعلقه بالتقاليد

وقد يقال هنا أن غاندي لايكره العلم وأنه لم يقل ذلك قط . وهذا صحيح .

ولكن كراهته للآلات بل كراهته للطب وهما ثمرة العلم ، يدلان القاريء على اتجاه ذهنه

ان التناقض واضح . فان المدنية الغربية التي يمثلها فورد وشو ورسل ومصطفى كمال تؤمن بالعلم وهي وان لم ترفض التقاليد فانها تبتسم لها ابتسامة التسامح . وهي تتجه نحو توفير الرفاهية وكانها تقول : « يجب أن نأكل أحسن الاطعمة وأطيبها ونؤثث بيوتنا بأفخر الرياش ولا نكسب عيشنا الا بأقل جهد وعندئذ لاتكون حياتنا إلا للتمتع الجسمي والتثقف الذهني ويجب ألا نعيش ألا في المدينة »

ولكن المدنية الشرقية التي يمثلها غاندى وتولستوى تؤمن بالفلسفة والدين والتقاليد وتدعو إلي النسك والقناعة وكأنها تقول : « يجب أن نقنع بالعيش في كوخ في وسط الريف ونرضى بأقل اللباس والطعام . وعلينا أن ننسك ونتأمل ونتعبد . وحسبنا من الطبيعة أن نتمتع برؤية حيوانها ونباتها لا ان نستعملهما »

وقد يكون في هذه المقابلات مبالغة . ولكن الغرض هو ابراز الصورة فقط مع الاعتراف بأن هناك تداخلا بين المدنيتين . فاذا قلنا مثلا ان الشرق ينشد الطهارة أي طهارة الروح ، والغرب يطلب النظافة أي نظافة الجسم فاننا نبالغ لابراز الصورة ولكنا نقول مع ذلك حقا . وقد أصبح اسم غاندى مرادفا للمغزل لانه نشره في القرى وجعل ممارسة الغزل واجبا وطنيا دينيا . وقد قصد من ذلك إلى تحقيق غايتين :

الاولي : غاية الاخلاق لانه يرى كما كان يري تولستوى ان كل انسان يجب إن يعمل وينتج لكى يشعره بأنه عضو نافع في الامة

والثانية : غاية وطنية وهي اعتماد الهنود على مصنوعاتهم وتركهم للمصنوعات الانجليزية حتى يخضع الانجليز لشروطهم ويعترفوا باستقلالهم

وقد نجح غاندى فيذلك نجاحا كبيرا جدا . ولكن الذين يعرفون الفرق بين الغزل على الآلات والغزل على المغزل لايتمالكون من الاسف لضياع الجهد الانساني ، فان رجلا واحدا يقعد الى آلة حديثة من آلات الغزل تعمل بالطاقة

الكهربائية مثلا يمكنه أن يخرج مقدارا من الغزل يساوى مايخرجه مائة تقريبا من الغازلين بأيديهم . فالقول بأن الآلات سيئة هو بمثابة القول بأننا نكره للناس الراحة وأننا نفضل للعمل الذى يكفى لعمله شخص واحد أن يكد فيه مائة شخص

ولكن يجب ألا نتهم غاندى بأنه يتعامى عن فائدة الآلات . وأولى من ذلك أن نقول أنه يريد أن يجعل الوطنية الهندية وطنية اقتصادية لانه يعرف ان أساس الاستعمار هو الاستثمار . ولكنه يرى ان شراء الآلات الكبيرة التى تقوم بالغزل يحتاج الى رؤوس ضخمة من الاموال لاقبل للهنود بجمعها فى فاقتهم الحاضرة . ولذلك هو لايبالي زيادة الجهد فى سبيل نهضة صناعية تعتمد فى المستقبل على صناعة الآلات الكبيرة

فاذا كان هذا التفسير يتفق وأغراضه فليس هناك شك فى أنه اختار أحكم السبل للوصول الى غايته . وذلك لان أرخص شيء فى الهند هو العامل الهندى إذ هو أفقر عامل فى العالم . ولكن إذا صدق هذا التفسير انتهينا منه إلى ان غاندى يعمل لتحقيق المدنية الغربية فى الهند أى مدنية الآلات وانه يخدم مبادىء فورد

والواقع أننا نجد من غاندى ايماء أو تلميحا يدل على انه لايعارض فى وجود الآلات ولكنه لايحب فى الوقت نفسه أن يضعف الحماسة للمغزل . اذ هو يذكر من آن لآخر أن الهند فى « طور انتقال » وكأنه يضمر فى هاتين الكلمتين أن الهند ستعبر بالمغزل الي عصر الآلات والصناعات الكبيرة

ونحن فى مصر الآن فى مثل هذا الطور . نري أنه يجب أن ينهض كفاحنا السياسى للاستقلال على أساس اقتصادى . فنحن نشجع الصناعات المصرية اليدوية ونشعر لفقرنا باننا عاجزون عن تأسيس المصانع الكبيرة التى تنتج انتاجا عظيما . ولكنا مع ذلك ننشد ذلك اليوم الذى نستطيع فيه أن يكون كل انتاجنا بالآلات وليس بالايدي

وإذن يجب أن نحب غاندى ونمجد أساليبه فى فترة الانتقال هذه وفى تحقيق الاستقلال السياسى . ولكن يجب أن نذكر مع ذلك أننا لن نكون أمة قوية نعد من أمم القرن العشرين المتمدنة حتى نجعل فورد غايتنا فى الاعتماد علي الآلات

وبعبارة أخرى يجب على الهند أن تنقلب كما انقلبت اليابان فتنسى ماضيها وتقاليدها . ولكن غاندى يرى أنها يجب ألا تنسى هذا الماضى أو هذه التقاليد قبل أن تحقق استقلالها واخراج الانجليز من بلادها . وهو مصيب فى رأيه

ما لم يعرف عن غاندى

أكثر المعروف عن غاندى يتعلق بجهاده السياسى والاساليب التى اتبعها فى هذا الجهاد . ولكن هناك أشياء أخرى فى حياة هذا العظيم تستحق الالتفات سواء منها ما يتصل بحياته الخاصة أو حياته العامة

وأول صفات غاندي هو النسك . فانه لا يأكل سوى القليل من البلح والجوز والرز والليمون ولبن المعز وزيت الزيتون ولا يتناول غير وجبتين فى اليوم ، الاولى فى الصباح والثانية عند الغروب ٠ وهو لا يعرف الخمر أوالشاى أو القهوة . وفراشه حرام من الصوف يفرشه على الارض ووسادته كتابان أو ثلاثه كان يطالعها سالف نهاره . فاذا كان الصيف والحر نام فى العراء وافترش التراب . وغرفته التي يعمل فيها عاريه ليس فيها غير رف الكتب والمكتب

وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا وقد نزل هو وزوجته عن كل ما يملكانه للفقراء

وليس غاندى خطيباً . وهو فى الخطابة مثله فى الحياة ساذج لا يتشدق ولا يتفصح . فهو يخطب كما يتكلم ومع ذلك يقنع سامعيه . وقد قال عنه سلفه ومعلمه فى الوطنية جوكيل « لقد صنع غاندى من مادة الابطال والشهداء . لا بل هو أكثر من ذلك . لانه يملك تلك القوة الروحية التى تحيل العامة من الناس أبطالا وشهداء »

بل لقد خطب بين العاهرات وطلب منهن أن يتركن البغاء وأن يقبلن على المغزل فسمعن له واطعنه

وقد جعل غاندى المغزل عبادة وأصبح حتى صار الغنى يمارسه وكأنه نوع من البر ، وصارت السيدة الغنية تطرح الحرير وتلبس القماش الوطنى وقد رسخ فى ذهنها أنها لا تخدم الوطن فقط بل تخدم الله

* * *

وزوجة غاندي وأولاده هم تلاميذه يجرون على سنته . وهذه الزوجة تدعى كستور باى تزوجها وهو فى الثانية عشرة من عمره . وهي امرأة ضئيلة تلبس القماش الهندى وتجول فى القرى تدعو الى الغزل وتحض على المساواة بين المنبوذين وسائر الهنود . ولما قبض على ولديها وزجا فى السجن جاءتها خطابات التعزية والتشجيع من جميع انحاء الهند فكتبت فى الصحف تقول « قبض على اثنين فقط من أولادي وهناك آلاف من أبناء الامهات الهنديات قد قبض عليهم أيضاً وهم الآن بين جدران السجون . وإذن ليس لى الحق فى أن أسكب دموع الحزن ما دام كثير من الشبان قد غصبوا من أمهاتهم »

ووقف ابنه ديفانداس في القفص أمام القاضى فقال : « انى أعلن بان التهمة الموجهة الي صحيحة . وكل ما قلته أو فعلته كان منى بسبق اصرار . وقد أتيت ما أتيت وأنا عارف بتبعة ما أفعل ولذلك أطلب أقصى العقوبة »

* * *

يبكر غاندى هو وتلاميذه فى الصباح فيغتسلون ثم يصلون ويترنمون جماعة بالاناشيد المقدسة ، واليك واحدة من هذه الاناشيد التي يحبها غاندى :

« لا يفتح الطريق الى الله لغير الشجعان ، وهو مقفل أبدا أمام الجبناء

« ولا يشرب من أناء الله غير ذلك الذى يترك ابنه وزوجته وثروته وحياته

« وفى الحق من طلب الجواهر كان عليه أن يغوص فى أعماق البحار وقد وضع حياته فى كفه

« وهو لن يخاف الموت . إذ هو ينسى شقاء الروح والجسم

« ولن يربح شيئاً ذلك الذى يقف على الشاطىء وقد خاف وتردد »

* * *

قال اسقف مدراس فى خطبة ألقاها فى كنيسته : « انى أعلن فى صراحة ـ وإن كان هذا يحزننى كثيراً ـ انى أرى فى المستر غاندى ذلك الصبور المعذب من أجل الحق والرحمة ممثلا حقيقياً للمسيح أكثر من اولئك الذين القوا به فى

السجن وهم الذين يسمون أنفسهم مسيحيين »

وفى غاندى عطف عظيم على المنكوبين وكثيراً ما قصد الى المعابد حيث يقعد المجذومون على درج المعبد للشحاذة يعرضون قروحهم على الناس لاستدرار رحمتهم . فكان يقعد إلى المجذوم ويمسح قروحه بملابسه ويضمدها بيديه

ومن هنا عطفه على المنبوذين فانه لا يطيق أن يرد عليه البراهمة بان الدين قد حكم بنجاستهم إذ هو يرد عليهم بقوله :

« يمكن ابليس على الدوام أن يستشهد بنصوص الكتب المقدسة . ولكن هذه الكتب لا يمكنها أن تتجاوز العقل والحق، تطهر الاول وتنير الثانى »

* * *

قصد مائة من البغايا الى غاندي يسألنه النصيحة. فقعد اليهن ساعتين يتحدث وإياهن عن الشقاء الذى يعانينه. وكان فى تلميحهن عندما يعجزن عن التصريح ما كان يدرك غاندى مغزاه . وقال بعد ذلك :

« ان هاتين الساعتين اللتين قضيتهما مع هؤلاء الاخوات هما الآن أكثر من الذكريات .... لقد حنيت رأسى في خزى عميق أمام هؤلاء الاخوات وسقوطهن »

ثم يقول : « نحن الرجال يجب ان نحنى الرؤوس خزيا ما دام هناك امرأة واحدة قد أرصدناها لشهوتنا . وانى لأوثر أن ينقرض النوع البشرى كله على أن نكون دون البهائم حين نجعل أشرف ما خلقه الله غاية شهوتنا . وليس في جميع الشرور والمفاسد التى تقع تبعتها على الانسان ما هو أسفل ولا أنذل ولا أوحش من هذا الاستغلال للنساء »

* * *

ما رأى غاندى فى الفنون الجميلة ؟

يرى فيها ما يرى المصلح المشغول بتزويد الامة بما يكفى مؤونتها ويرى فيها رأي الناسك الذي يقنع ببلغة العيش وهو هنا يقول :

« يكفيني من غرفتى أربعة جدران ولا اكاد احتاج الى سقف فوقها ، وحسبى ان أنظر الى قبة السماء وأرى النجوم منتثرة فيها فامتع عينى بجمالها الذي لا يفنى . فان هذا عندي يعلو على جميع الفنون الانسانية في الجمال . ولست أعنى انى اتجاهل قيمة الاعمال الفنية . ولكنى عند المقابلة بجمال الطبيعة اشعر شعوراً عميقا بانها غير حقيقية »

ثم يقول : « اني اعترف بانى لا استطيع ان اجد فى أحد الرسوم ما يثير فى نفسى ذلك الشعور بالعجب والسمو كما اجد عند ما اتأمل السماء بنجومها . أليست جميع الاعمال الانسانية تافهة بجانب اعمال الله الفنية العظيمة التى تغمر الكون ؟ »

ثم يقول هذا الناسك : « ان الحياة اعظم ويجب ان تكون اعظم من جميع الفنون بل اني اذهب الى ابعد من ذلك واصرح بان الانسان الذى تقرب حياته من الكمال هو الفنان الاعظم اذ ما معنى الفن اذا لم يقم على اساس الحياة الشريفة وهيكلها ؟ »

ولسنا ننتظر منه بعد ذلك ان يقول فى اوسكار وايلد غير هذا الذى يقوله:

« كان وايلد يقصر مهمة الفن على ابراز الشكل التام . ولذلك لم يتراجع عن تمجيد ما يخالف الاخلاق »

وهو هنا يوافق تولستوى وروسكين على رأيهما فى الفنون . وقد ذكر هو أنه تأثر كثيراً بمؤلفاتهما

غاندى والطعام

لاينظر الناس الي غاندى من حيث أنه زعيم الوطنية الهندية فحسب . بل هم ينظرون اليه من حيث أنه معلم دينى ومصلح اجتماعى له آراء ممتازة فى الحكومة والزواج والصناعة بل له آراء فى اللباس والطعام

وغاندي يدرس الطعام لبواعث وغايات مختلفة . فانه هو نفسه ينزع الى النسك ويحتاج الى الطعام الذى يوافق حياة النسك . ثم هو يقول بالعودة الى الطبيعة وهذه العودة تقتضى بساطة العيش والرضى بابسط الاطعمة وأقلها حاجة الى عناية الطباخ وتعدد التوابل واختلاف الالوان . وهو بعد ذلك يجد فى درس الطعام مايبصره بالخطط الوطنية كما رأينا فى مسألة الملح

فقد رأيناه يختار من بين الضرائب ضريبة الملح التى فرضتها الحكومة على الهنود ويطلب الغاءها . ولهذا الالتفات الخاص لضريبة الملح علاقة بالطعام الهندي . فان الهندوكيين أقل الشعوب تناولا للحم إذ هم جميعهم يقدسون البقرة ولا يذبحونها . وفيهم طوائف لايذوقون اللحم بتاتا كالطائفة التى ينتمى اليها غاندى . ثم ان الفاقة التى تشمل الهند تجعل ٩٩ فى الماية من السكان لايحصلون من الغذاء الا على الاطعمة النباتية . ومن المعروف أن الطعام النباتي يحتاج الي كثير من الملح الذى لا يحتاجه الطعام اللحمى . بل هذه الحاجة نجدها فى الحيوانات التى تغتذى بالاعشاب فانها تشتهي الملح فان لم تجده لحست التراب لما فيه من ملوحة . حتى أن الصيادين فى أفريقيا يضعون الملح شركا يصيدون به البهائم كالغزلان والجاموس ونحوهما . أما السباع التى تأكل اللحم فلا تحتاج الى الملح . والطبقات الفقيرة فى كل أمة تكثر من استعمال الملح لهذا السبب أي لانها تعتمد على الاطعمة النباتية الرخيصة ولا تستطيع أن تشتري أطعمة اللحم

ومن هنا كانت حاجة الهنود الى الملح كبيرة جدا لأنهم يقتاتون بالاطعمة النباتية . ومن هنا أيضا اختيار غاندى لضريبة الملح عند ما قرر العزم على مخالفة الحكومة ودعا الجمهور الي الكف عن ادائها . فان هذا الاختيار يدل على علمه بحاجة الطعام النباتى الى الملح وضرورته لجميع السكان

وغاندى مثل جميع الزعماء وقادة الفكر ينفق من نفسه مجهودا كبيرا ويحتاج الى توفير الوقت والصحة لكى يعالج نكبتى الاستعمار والتقاليد اللتين ترزح بهما بلاده . وقد درس لنفسه موضوع الغذاء لكى يعرف أوفق الاطعمة لكى يعمل أطول الوقت وينفق أكبر المجهود مع لزوم النسك مع ما بين النسك والمجهود من مناقضة . فان الناسك يكف شهواته بالصوم وقلة الغذاء والمجاهد يحتاج الى الغذاء الوافر الذى يحركه على الدوام الى النشاط . وقد أضطر غاندى الى أن يدرس الطريقة التى يلائم فيها بين هاتين الغايتين . وقد وجد بالتجارب التى أجراها على نفسه أنه لكى يراقب مايدخل ذهنه يجب عليه أن يراقب ما يدخل معدته . وهو الان يقتصر من الاطعمة على لبن عزته وعلى الفواكه الجافة كالبلح وغيره . وهذا الطعام يكفيه بالغذاء الذى يلزم جسمه . ولبن الماعز كثير الدسم قليل المعادن . والفواكه الجافة خالية من الدسم كثيرة المعادن ومنهما يؤلف طعام تام لرجل مثل غاندى لايعمل بعضلاته وانما يعمل بذهنه ينشد هدوء العواطف لا ثورتها . وقد بدأ تجاربه فى نفسه منذ سنة ١٩٠٦ حين رأى العلاقة بين الاخلاق والطعام وحين عين لنفسه اخلاقا خاصة يختار لها الطعام الذى يساعده على التخلق بها . وكان ينظر الى أثر الطعام فى الشهوة الجنسية التى يبدو من كلامه أنها أقلقته كثيرا حتي انتهى الى القول بانه لايصح للزوجين أن يناما فى غرفة واحدة وهذا القلق يدلنا على عبقرية غاندى فانه قل ان نجد عبقريا أو رجلا ممتازا بنشاط الذهن لا تقلقه الشهوة الجنسية قلقا كبيرا . وبعد ست سنوات من هذه التجارب انتهى الى ان أحسن الاطعمة له هو الفواكه والجوز مع ايثار الطازجة على الجافة . فعاش عليها مده لايتناول

شيئاً من الحبوب أو اللبن . وكان مع هذا الطعام البسيط يصوم بعض الايام لا يتناول غير الماء . واستطاع بهذا الطعام أن يقمع الشهوة الجنسية قمعا باتا . ولـكنه وجد همودا في الجسم جعله يطلب اللبن . فلما عاد اليه استيقظت الشهوة الجنسيه فكتب يقول عن ذلك : « ليس عندى أقل شك فى ان اللبن يجعل ممارسة الطهارة شاقة »

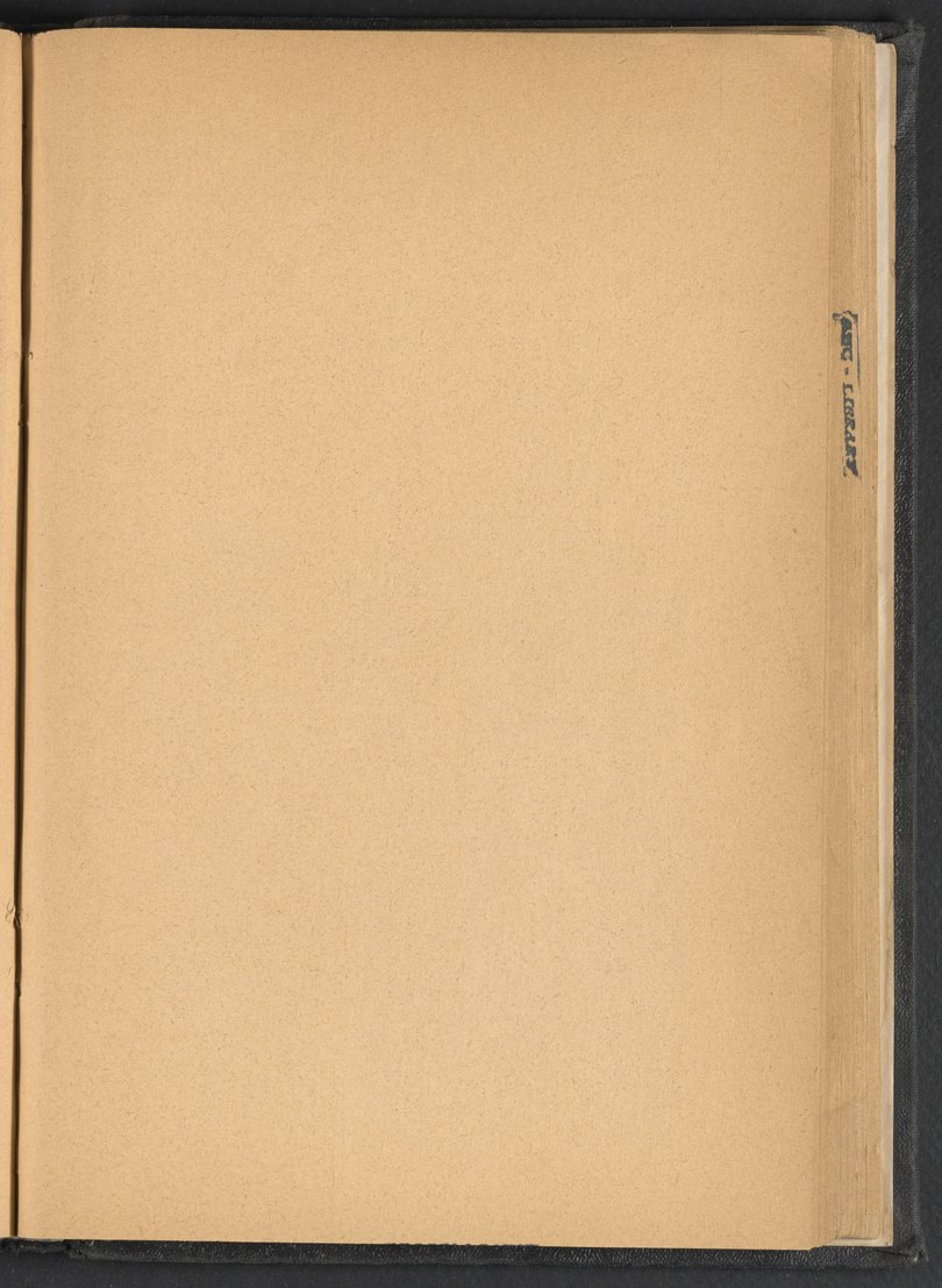
وقد رأى من هـذه التجارب أن أفكاره بل اخلاقه كانت تتغير بتغير طعامه

وأخيرا رضى بالتسوية بين ذهنه وشهوته فاخذ باللبن والفواكه واقتصد فى قوته بالنوم فى غرفة أخرى غير الغرفة التى تنام فيها زوجته . وبهـذا النظام استطاع غاندى أن يعمل نهاره كله وبعض ليله لخدمة بلاده . فهو لا يقيل عقب الغداء كما نقيل لاننا نثقل ونسترخى بعد طعام اللحم ولـكنه هو يبقى نشطا طول نهاره

ولو أن كل رجل ممتاز فى قواه الذهنية أو الاخلاقية مثل غاندى شرح للناس الطعام الذي يأكله والذى ساعده على أداء مهامه الشاقة لانتفع الناس بتجاربه . ولـكن قل ان نقرأ ترجمة أحد العظماء ونرى فيها وصفا لطعامه كما نرى فى ترجمة غاندى . ولسنا نعنى أن الطعام الذى اهتدى اليه غاندى يفيد جميع الناس . بل نري خلاف ذلك وهو ان مثل هذا الطعام قد يضر بعض الناس ولـكنا نعنى أن اختيار الطعام ، وخاصة عند القادة والزعماء الذين يطلب منهم مجهود كبير، يحتاج الى عناية وتجارب حتى يهتدوا الى مايوافقهم منه . وطعام كل انسان هو كالحذاء أو العمرة أو البذلة يحتاج الي قياس خاص بعد اعتبار الجسم من حيث مزاجه ثم اعتبار الحرفة التى يحترفها الشخص . وقد عرف غاندى قياسه واطمأن اليه . ويجب على كل منا أن يعرف أيضا قياسه بعد التجارب التى يقوم بها فى نفسه

الجزء الثالث

مقالات بقلم غاندی



الى الانجليز فى الهند

لا أستطيع أن أقيم البراهين على شرف غايتى إذا لم تحسوا انتم ذلك . وبين اخوانى الهنود من يتهمنى بأني أضمر غير ما أظهر حين أقول لهم أنه يجب علينا ألا نكره الانجليز وان كنا نكره النظام الذى وضعوه لنا . فانى أحاول أن أفهمهم اننا نستطيع أن نكره الشر الذى ينزله بنا أحد الناس دون ان نكرهه هو . فقد كان المسيح يلعن شرور الكتبة والفريسيين دون ان يكرههم . وهو حين شرع الحب للناس اوالكراهة لشرورهم لم يكن يعنى نفسه فقط بل كان يقصد التعميم بين جميع الناس . والواقع انى أجد هذه الشريعة فى جميع الكتب المقدسة فى العالم

وانا ادعى اني على شيء من فهم الطبيعة البشرية وانى استطيع أن اعرف اماكن الضعف عندى . وقد وجدت ان الانسان يفضل النظام الذى يخترعه ويسمو عليه . ولذلك اشعر ان كلا منكم يفضل النظام الذى وضعتموه جماعة . وقد كان كل واحد من الهنود فى مدينة امريتسار خيراً من الجماعة التى كان هو عضوا فيها . ولو انه طلب اليه ان يقتل اولئك المديرين الابرياء للبنك الانجليزى لرفض . ولكنه نسى نفسه وهو فى غمار الجماعة

ومن هنا الفرق بين الانجليزى وهو فى كرسي المنصب وبينه وهو خارجه وكذلك هناك فرق بين الانجليزى فى الهند والانجليزى فى انجلترا . فأنتم هنا فى الهند تنتسبون الى نظام يتجاوز حدود الوصف فى الخسة والدناءة . ولذلك يمكننى أن ألعن النظام بأشد لهجة دون أن اتهمكم أنتم بالسوء أو ان أنسب اليكم بواعث سيئة . لانكم أنتم عبيد لهذا النظام كالشأن عندنا سواء . ولذلك أود منكم أن تبادلونى هذا النظر فلا تتهمونى بعواطف أو بواعث لاتجدونها فيما أكتبه . وأنا أصرح لكم بجملة هذه البوعث حين أقول أن صبرى قد نفد

عن هذا النظام القائم الذى يجعل الهند خاضعة لحفنة منكم ويجعلكم تطمئنون فقط الى المدافع والحصون التى تواجهنا فى كل مكان فى الهند . فانهذه المناظر تحط من شرفكم وشرفنا معا . فنحن وأنتم نعيش ونحن نتبادل الخوف وسوء الظن . وأنتم لابد تعرفون ان هذه الحال لا تليق بالرجال . ومثل هذا النظام الذى ترجع اليه هذه الحال لايمكن أن يستند الا إلى إبليس وكان من الممكن ان تعيشوا فى الهند كأنكم من بعض أهلها بدلا من أن تكونوا كما أنتم الان أجانب تستغلونها . وأنه لمذهب من مذاهب اليأس المظلم ذلك الذى يقول أن حياة الف هندى تساوى حياة انجليزى واحد . ومع ذلك فأني اقول الصدق حين أقول لكم ان هذا المذهب صرح به سنة ١٩١٩ أعظم رجالكم

وإنى أشعر بما يغرينى بأن أدعوكم لكى تنضموا إلى هدم هذا النظام الذى وقعنا فيه نحن وأنتم . ولكنى أشعر أيضاً بأنى لاأستطيع ذلك الآن لأننا لم نبلغ بعد هذه الحال من الرغبة فى بذل النفس وضبطها لكى نحقق هذا الاتحاد . ولكنى أطلب اليكم ان تساعدونا فى شيئين هما :

مقاطعة القماش الاجنبى

ومقاطعة المشروبات الروحية

فان أقشة لنكشير ، كما أوضح ذلك المؤرخون الانجليز ، قهرت الهند على قبولها بينما منسوجات الهند قد دمرت تدميراً منظما مقصوداً ولم تصبح الهند بذلك تحت رحمة انجلترا وحدها بل أصبحت تحت رحمة اليابان وفرنسا وأمريكا . وانظروا أنتم الان إلى مغزى هذا العمل . فاننا نرسل كل عام فى طلب الاقمشة الاجنبية نحو اربعين مليون جنيه مع اننا نزرع من القطن ما يكفى حاجتنا من القماش . وإذن اليس من الجنون ان نرسل قطننا إلى الاقطار الاجنبية ثم نعود فنجلبه منها وهو مصنوع ، وهل كان من العدل ان تحطوا الهند إلى هذه الحال ؟

لقد كنا قبل ١٥٠ سنة ننسج جميع اقمشتنا . وكان نساؤنا يغزلن فى القرى ويساعدن أزواجهن بذلك على العيش . وكان الغزل جزأ متمما للاقتصاد الوطنى فى بلاد زراعية مثل بلادنا وكان يشغل فراغنا بطريقة طبيعية . ولكن نساءنا نسين الان فن الغزل وقهر الملايين من السكان على أن يبقوا فى عطلة تزيد فاقتهم حتى صار كثير من النساجين يشتغلون بكنس الشوارع بينما كثير غيرهم قد تجند فى الجيش يعمل مأجوراً فى العسكرية . وباد نصف النساجين الفنيين بينما النصف الاخر ينسج أقمشته بالغزل الاجنبى لانه لايجد غزلا هنديا

ولعلكم تدركون الان معنى مقاطعة الاقمشة الاجنبية . فاننا لا نتخذ هذه الخطة للعقاب . ولو اننا نلنا استقلالنا الان لما كففنا عن المقاطعة . وأقل ما يعنيه الاستقلال أن نكون قادرين على أن نصون الصناعات الهندية التى تتعلق بها حياة الكيان الاقتصادى للامة وأن نمنع تلك الواردات التى تضر بهذا الكيان الاقتصادى . والزراعة والغزل كلاهما يؤلف رئتى الجسم الوطنى ويجب أن نحميهما من السل مهما كلفنا ذلك

وهذه المسألة لا تجيز لنا التمهل والانتظار ولا يمكننا أن نلتفت إلى مصالح أصحاب المصانع الاجنبية أو مصالح المستوردين من الهنود لان الامة تموت الان لحاجتنا إلى صناعة أخرى تلتحق بالزراعة هى صناعة الغزل

ويجب الا تخطئوا وتحسبوا اننا نقصد إلى مقاطعة جميع البضائع الاجنبية فان الهند لا ترغب فى اقفال أبوابها دون التجارة العالمية . وتلك الاشياء التى تصنع عند الامم الاخرى بأحسن مما تصنع عندنا يجب – مع استثناء الاقمشة – ان نقبلها مع الشكر بشروط يتبادل فيها الطرفان المنفعة . ولن تقبل الهند شيئاً تقهر عليه . ومع اني لا أحب أن أطل من الآن على المستقبل فاني أقول اني اؤمل أن تستطيع الهند قريبا أن تتعاون مع انجلترا على أساس المساواة بينهما . وعندئذ يمكن بحث العلاقات التجارية بينهما . ولكنى الآن أناشدكم

المعونة لتحقيق مقاطعة الاقمشة الاجنبية

ثم تبقى بعد ذلك المسألة الثانية وهى مقاطعة المشروبات الروحية . فان الحانات لعنة مفروضة على الامة ولا يمكن الصبر عليها . ولم تكن الهند فى أى وقت من الاوقات متنبهة لهذه المسألة كما هى الان . واني اصرح هنا بأن رجال الدين فى الهند هم الذين يمكنهم أن يعاونوا فى هذه المسألة أكثر منكم ولكنى أحب منكم أن تكشفوا عن نياتكم . فان الامة الهندية ستلح على منع المشروبات الروحية منعا باتا مهما كان نظام الحكومة . ويمكنكم ان تساعدوا على نمو هذه الحركة بأن تضموا نفوذكم الى جهود الامة . وانى

صديقكم الامين غاندي

الى نساء الهند

أخواتى العزيزات

لقد قرر « مؤتمر جميع الهند » أن يعين يوم ٣٠ سبتمبر (من سنة ١٩٢١) لكى يكون تاريخ إتمام حركة مقاطعة القماش الاجنبى التى أشعلنا نارها فى ٣١ يوليو فى بومباى فى ذكرى الوطنى تيلاك . وقد أعطيت امتياز اشعال النار فى كومة كبيرة من أقمشة السيدات الغالية التى كنتن تعددنها إلي ذلك الوقت جميلة فاخرة . وانى أشعر أن أولئك الاخوات اللواتي قدمن أقمشتهن وملابسهن للنار قد أحسن صنعا . لان إحراق هذه الملابس والاقمشة هو أحسن ما كان يمكن أن نعمله بها حتى من الوجهة الاقتصادية كما أن إحراق الاشياء الملوثة بمكروبات الطاعون هو أحسن عمل اقتصادى نعامل به هذه الاشياء . فلقد كان هذا الحريق عملية جراحية لجأنا اليها لكى نقى بها جسم الامة من أمراض أخرى هى أعصى على العلاج وأشد فتكا

لقد قامت نساء الهند فى الاشهر الاثنى عشر الماضية بالمعجزات فى خدمة وطنهن . وقد أديتن أعمالكن فى صمت كأنكن ملائكة الرحمة وأعطين نقودكن وجواهركن لقضية الوطن وهذا الى طوافكن من منزل الى آخر للدعاية الوطنية بل منكن من قمن بالتفتيش على المتاجر للبحث عن الاقمشة الاجنبية . وبعض منكن ممن تعودن الملابس الزاهية التى تختلف ألوانها والتى كن يبدلنها مرات فى اليوم تركنها واتخذن القماش الهندى الابيض الساذج بديلا منها فكان بياضه الناصع رمزاً لهذه الطهارة التى تمتاز بها طبيعة المرأة . وقد فعلتن ذلك كله من أجل الهند ومن أجل الخلافة ومن أجل بنجاب . وليس فى كل مافعلته أيديكن أو فاهت به ألسنتكن إثم لان تضحيتكن

خالية من روح الغضب أو الكراهيــة • وأنى أعترف لـكن حين أقول أن استجابتكن للدعوة الوطنية قد أقنعتنى بأن يد الله معنا ، وليس هناك من البراهين التى تدل على أن حركتنا هى تطهير للنفس ما هو أقوى من تقدم نساء الهند لمعاونتها

لقد أعطيتن كثيرا ولـكن الحركة تحتاج إلي أكثر • • • فاننا لن نحقق غايتنا إلا إذ أعطيتن أكبر نصيب فيها ولن تمكن المقاطعة ما لم تسامن جميع ملابسكن الاجنبية وتقلعن عنها • ولن يمكن هذا الاقلاع اذا كنتن تستحسنها وتستجملنها لان المقاطعة تعنى أن تجحدن الذوق الاجنبى • إذ يجب علينا أن نقنع بالاقمشة التى تنتجها الهند كما نقنع بالاطفال التى تعطى لنا من الله • فان الام لاتطرح ابنها وتستغنى عنه لان الاغراب لا يستحسنون وجهه . وكذلك الحال مع المرأة الهندية الوطنية فانها يجب ان ترضى وتقنع بالمنسوجات الهندية التى غزلت خيوطها ونسجت أقمشتها أيدى الهنود • ويجب فى فترة الانتقال هذه ان يرضيكن القماش الهندى الخشن. فاذا استطعتن ان تحلينه وتزينه فلـكن ذلك • واذا انتن ارتضيتن هذا القماش على خشونته الآن فلن تمضى أشهر قليلة حتى تتفق للهند نهضة فنية فى صنع الاقمشة • وعندئذ نرى الملابس الزاهية الفاخرة التي كانت فى الازمنة القديمة موضع الحسد واليأس من العالم كله • وانى أؤكد لـكن انكن إذا عمدتن إلى انكار النفس مدة ستة أشهر فانكن ترين انما تحسب الآن انه ذوق فنى حسن انما هو فن كاذب وان الفن لايكون سليما صحيحا بما له من شكل فقط بل تتوقف سلامته على ما وراءه وما يختفى خلفه • فهناك فن للقتل والاعدام وفن آخر لبعث الحياة • وهذه المنسوجات التى ترد الينا من أوربا ومن الشرق الاقصى قد قتلت الملايين من أخواننا وأخواتنا وكانت السبب فى وقوع آلاف من بناتنا فى حياة العار • ولـكن الفن السليم يجب ان يكون مظهراً للسعادة والرضا والطهارة . وإذا اردتن هذه الخصال فعليكن باتخاذ القماش الهندي بل عليكن ان تجعلن اتخاذه اجباريا

وليس اتخاذ القماش الهندى ضروريا فقط بل يجب علي كل منكن أن تشغل فراغها كل يوم بالمغزل . وقد اقترحت على الصبيان والرجال ان يغزلوا ومنهم آلاف يغزلون الآن . ولكن عبء الغزل يجب ان يقع عليكن كما كانت الحال فى الازمنة القديمة . فقد كانت نساء الهند قبل مائتى سنة يغزلن مايكفى الهند بل ما يفيض عنها ويرسل الي الاقطار الاجنبية . ولم يكن يغزلن الغزل الجافى فقط بل كن يغزلن أيضا أدق الغزل وأمتنه وأرفعه وهو مالم تستطع الآلات الحديثة أن تصنع مثله أو تقاربه . فعليكن إذن أن تؤلفن أندية خاصة بالغزل وأن تقمن بمباريات للتشجيع حتى تملأن أسواق الهند بالغزل اليدوى . ولهذه الغاية يجب أن يكون منكن من يمهرن فى الفن ويعرفن التمشيط ويستطعن اصلاح الآلات . وهذا معناه الدأب فى العمل . وسيكون الغزل وسيلة العيش للمرأة الفقيرة وعونا على العيش للمرأة المتوسطة وستعود آلة الغزل رفيقة للارملة كما كانت فى الازمنة السابقة . أما أنتن اللواتى تقرأن هذا النداء فيجب أن يكون الغزل عندكن واجبا فاذا عمدت كل امرأة متيسرة الى الغزل وخصصت له من يومها وقتا كثر فى الاسواق وتحسن

ولذلك أقول لكن ان خلاص الهند الاقتصادى والاخلاقى يتوقف فى الاكثر عليكن . ومستقبل الهند الآن مطروح علي حجر المرأة الهندية يطلب منها الغذاء للاجيال القادمة . ويمكنكن ان تنشئن اطفال الهند وتربينهم على أن يكونوا أحد شيئين أما شجعانا يتحلون بالبساطة وخوف الله وأما ضعفاء مدللين لايستطيعون مصادمة العواصف التى ستواجههم ولا يطيقون الاقلاع عن البهارج التى اعتادوها

التعليم فى الهند

لقد قيلت أشياء كثيرة عن آرائى فى التعليم فى الهند ولذلك أرى أنه قد يكون من المفيد للجمهور أن أحدد هذه الآراء وأوضحها

انى أري ان نظام التعليم فى الهند ، بصرف النظر عن علاقته بالحكومة الظالمة القائمة ، ناقص من ثلاثة وجوه هي :

١ — انه يعتمد على ثقافة أجنبية مع تنحية الثقافة الهندية أو مقاطعتها

٢ — انه يتجاهل ثقافة القلب واليد ولا يبالى سوى ثقافة الذهن

٣ — ثم ان التربية الحقيقية لاتقوم على أيدى الاجانب

ولننظر الآن فى هذه العيوب الثلاثة . فالكتب المدرسية التى يدرسها الصبيان لاتعالج الموضوعات التى تصدمهم فى بيوتهم وإنما تعالج موضوعات غريبة عنهم كل الغرابة . وصبياننا لايعرفون مايحق لهم وما يجب عليهم فى البيت من هذه الكتب المدرسية . وهم لا يجدون فيها ما يوحى اليهم الشعور بالكرامة والفخر من البيئة التى يعيشون فيها وهم لذلك لايجدون فى البيت شيئا من الشعر . ومناظر القرية كتاب مطبق أمام عيونهم . وتشرح لهم المدنية الهندية فى هذه الكتب المدرسية كأنها شيء وحشى همجى لافائدة منها أصلا للحياة العملية . وهذا التعليم ينتهى بالصبى الى أن يفطمه من الثقافة الهندية . وإذا كان سواد الشبان لم يفقدوا الى الآن قوميتهم فذلك لان ثقافة أسلافنا أعمق من أن تستأصل بتعليم يضاد نموها ، ولو كان لى الخيار لعمدت الى معظم هذه الكتب المدرسية وأتلفتها لايجاد كتب جديدة تتصل بالحياة المنزلية حتى يمكن التلميذ أن يتعلم منها ما ينفعل به فى بيئته المحيطة به

ثم ان بلاداً كالهند يعيش ٨٠ فى المائة من سكانها بالزراعة و ١٠ فى المائة بالصناعة يكون من الجناية على أبنائها أن يبقى التعليم فيها أدبياً فقط فينشأون

وهم عاجزون عن العمل اليدوى . واني أري أننا ما دمنا نقضى معظم وقتنا للكد فى طلب العيش فان صبياننا يجب منذ طفولتهم أن يعرفوا للعمل كرامته ويجب ألا يعلموا شيئا ينقص من هذه الكرامة ويجعلهم يحتقرون الكد والعمل . وليس هناك من سبب يجعل ابن الفلاح يكره العمل الزراعى عند مايتعلم . وانه لمن المحزن أن نرى صبياننا يكرهون العمل اليدوي بل يحتقرونه ثم أننا فى الهند لانستطيع أن نعمم التعليم بين جميع الصبيان اذا أردنا أن تؤسس المدارس على النمط الحديث لاننا نعجز عن توفير المال اللازم لها . ولن يمكن الآباء أن يؤدوا المصروفات المدرسية التى تطلب الآن لهذه المدارس . والتعميم يقتضى المجانية . وظنى أننا حتى عندما نحصل علي نظام الحكم الذى ننشده فاننا لن نستطيع لن نرصد فى الميزانية ٢٠٠٠مليون روبية للتعليم وهو المبلغ الذى يحتاج اليه تعميم التعليم بين جميع الصبيان . ولذلك لا بد لنا من أن نجعل الصبيان يؤدون بعملهم بعض أو كل نفقات تعليمهم . ومثل هذا العمل ان يكون رابحا يقوم بنفقات التعليم إلا إذا كان غزلا أو نسجا يدويا . وهذا رأيي وقد يمكن الاهتداء إلى عمل آخر غير الغزل والنسج . ولكن بعد النظر والتأمل لانجد عملا يمكن التوسع فيه والاعتماد على نتائجه العملية فى المدارس الهندية مثل الغزل والنسج

وادخال الاعمال اليدوية فى المدارس فى قطر فقير مثل قطرنا ستكون له نتيجة مزدوجة . إذ هى تؤدى عن التلميذ مصروفاته طول مدة تعلمه بالمدرسة ثم عقب خروجه تزوده بصناعة تمكنه من الاستناد اليها عند الحاجة لكى يكسب قوته ، وهذا النظام يعلم أبناءنا الاعتماد علي النفس والعمل للعيش وليس شيء فى العالم يهدم أخلاق الامة مثل احتقار أبنائها للعمل اليدوى

ثم لي كلمة موجزة عن حظ القلب من التعليم . واعتقادى أن هذا التعليم لا يمكن أن يتحقق من سبيل الكتب . وانما سبيل ذلك هو العلاقة الحية بين المعلم والتلميذ . ومن هم المعلمون فى المدارس الابتدائية والثانوية !

هل هم رجال إيمان وأخلاق ؟ هل حائزون للصفات التي تبعثها تربية القلب؟ أو ليست طريقة اختيار المعلم للمدارس الاولية كفيلة بحرمانه من الاخلاق ؟ وهل هؤلاء المعلمون يحصلون على ما يكفي عيشهم ؟

ثم ان التعليم بالطرق الاجنبية والكتب الاجنبية قد علم أبناءنا الحشو وأتعب أذهانهم حتى صاروا لا يصلحون للعمل أو التفكير البكر كما انه حال دون الصلة الثقافية بينهم وبين ذويهم أو بينهم وبين الجمهور . بل هو جعلهم أجانب فى وسط بلادهم . وإذن لكى ننقذ أنفسنا من هذه الحال الخطرة يجب أن نقف تعليم أولادنا باللغة الاجنبية وتحتم على المعلمين والاساتذة تعليمهم باللغات الهندية وإلا جاز لنا فصلهم وطردهم . ولست انتظر تأليف الكتب المدرسية لتحقيق هذه الغاية لان التغيير المنشود يجب أن يسبق هذه الكتب وهو تغيير لا يحتمل التأخير

وقد حمل على بعضهم عند ما أعلنت أرائى بشأن اللغة الاجنبية للتعليم واتهموني بأني أكره الثقافة الاجنبية أو تعلم اللغة الانجليزية . مع انه ليس هناك قارىء لمجلة « يونج أنديا » إلا ويعلم أنى أعد اللغة الانجليزية اللغة التجارية العالمية والسياسية الدبلوماتية ولذلك لا بد من أن يتعلمها عدد منا . ثم هذه اللغة تحتوى على كنوز خصبة للآداب والافكار . ولذلك أرى تشجيع القادرين على تعلمها إذا وجدوا فى أنفسهم الاستعداد . وأرى انه يجب أن ينقلوا الي اللغات الهندية ما فى هذه اللغة من كنوز أدبية

وأبعد الأشياء عن ذهنى هو اقامة الحواجز لمنع الثقافة الاجنبية ولكنى أقول اننا لن نستطيع تقدير هذه الثقافة الا بعد أن نكون قد تشبعنا بثقافتنا الهندية . ورأيي الذى لا أحيدعنه هو انه ليس فى العالم ثقافة تحوى من الكنوز مثل ما تحويه ثقافتنا . ولكننا جهلنا ثقافتنا بل نحن تعلمنا الانتقاص من قيمتها وكففنا عن العيش على أساليبها . وليست الثقافة للتعلم فقط وانما هى للعمل . فاذا قصرنا أنفسنا على العلم دون العمل صارت بمثابة الجسم المحنط قد يبدو حسنا ولكنه لا يبعث الحياة أو العزة . وان لى دينا يمنعنى من استصغار شأن اية ثقافة أجنبية ولكن هذا الدين نفسه يحتم على ان اشبع نفسي بثقافة الهند وان أعيش على أساليبها والا كان جزاء اهمالها الانتحار المدنى

مذهب السيف

فى هذا العصر عصر القوة الغشوم يكاد يكون من المحال أن نؤمن بأن هناك من يجحد سيادة القوة . ولهذا السبب ترد الي خطابات غير موقعة ينصح لي فيها كاتبوها ألا أعوق التقدم فى حركة العصيان المدنى ولو فشا فى الحركة العنف والبطش . ثم يفد علي آخرون وهم يحسبون انى أضمر فى نفسى العنف فيسألوننى متى تأتى الساعة لاعلان القتال الصريح وحمل السلاح ؟ ثم يؤكدون لى أن الانجليز لن يخضعوا الا للعنف المضمر أو الظاهر . وهناك آخرون يعدوننى أسفل انسان فى الهند لاني لا أصرح بنيتى مع انهم ليس عندهم ظل من الشك بأني أؤمن مثل سائر الناس بالعنف

ولما كانت هذه الحال تدلنى على تمسك الناس بمذهب السيف ، ولما كان نجاح العصيان المدني يتوقف على انتفاء العنف ، ثم لما كانت آرائي فى هذا الموضوع تؤثر فى سلوك عدد كبير من الامة ، أرانى محتاجا إلي أن أثير الموضوع بقدر استطاعتى

انى أومن بأنه إن كان هناك خيار بين الجبن والعنف فانى عندئذ انصح بالعنف . وقد حدث أن سألنى ابنى الاكبر ماذا كان يجب عليه ان يفعل لو انه كان حاضراً يوم هوجمت سنة ١٩٠٨ وهل كان يجب عليه أن يتركنى وهو يرانى أكاد أكون مقتولا أو كان يجب عليه أن يقف ويستعمل قوة جسمه للدفاع عنى . فأجبته على هذا السؤال بان واجبه عندئذ يقضى عليه بالدفاع والالتجاء الى العنف

وعلي هذا المبدأ اشتركت أنا فى حرب البوير ، وفى فتنة الزولو ، وفى الحرب الكبرى . وعلى هذا المبدأ أيضاً ادعو الى التدريب الحربي لأولئك الذين يؤمنون بوسائل العنف . وعندى ان أرى الهند وقد عمدت الى السلاح تحمله

وتتأهب به للذوذ عن شرفها ، أحب الى من أن تقف وهى عاجزة ترى انتهاك حرماتها وجرح كرامتها وهى صامتة

ولكنى اعتقد أن المقاومة السلبية خير من العنف لان الغفران يزين الجندى ولا يشينه . على ان الاحجام عن القتال لا يعد غفرانا إلا حين تكون القدرة علي انزال العقاب . وليس للغفران معنى إذا هو نبع من العجز والخوف . فأن الفأر لا يغفر للقط تمزيقه لجسمه . ولذلك فانى أقدر العواطف التى تبعث الآن بعض الهنود إلى المطالبة بمعاقبة الجنرال داير وأمثاله . فانهم يودون لو يمزقونه إذا استطاعوا . ولكني لا أعتقد ان الهند عاجزة قد وقفت موقف الجزع لهذا العجز . ولست أعد نفسى عاجزاً وإنما أريد أن أستغل قوة الهند وقوتي لغاية سامية

فأرجو الا يسىء أحد فهم ما أقول . فان القوة لا تصدر عن قوة الجسم وإنما هي ثمرة الارادة الصادقة . فان الرجل من قبائل الزولو يتفوق علي الانجليزى فى قوته الجسمية ولكنه يفر عند مايرى صبيا انجليزيا ، لانه يخشى ان يكون مع هذا الصبي مسدس أو ان يكون هذا المسدس مع المنتقمين لهذا الصبى منه فهو يخشى الموت على الرغم من قوه جسمه وضخامته

ونحن في الهند نعرف ان مائة الف انجليزي لن يستطيعوا ان يخيفوا ثلثمائة مليون هندى . فالغفران هنا لا يعنى الضعف بل هو اعتراف بقوتنا . ولا بد ان سيرافق هذا الغفران تيار عظيم من القوة تشعر به وكأنه يطمو بنا ويحول دون رجل مثل داير اوفرانك جونسون حين يبغيان هوائنا ووصم جباهنا بالعار وليس يهمنى كثيراً الان أن أقيم الادلة على هذه النقطة . ولكنني أرى الا أحجم عن القول بان الهند تكسب أكثر لو انها نزلت عن حقها فى العقاب وخير لنا ان نخلص العالم بهذا النوع الجديد من البر

ولست خياليا فى هذا القول لانى ادعى أني أنشد المثل الاعلى بطريقة عملية . فان ديانة المسالمة ليست مقصورة على القديسين . وانما هى لعامة الامة

وذلك ان المسالمة سنة البشر كما ان العنف سنة الوحوش التى يخمد روحها فلا تعرف سوى القوة الجسمية . اما الانسان فان كرامته الانسانية تجعله يطيع سنة أخرى هى القوة الروحية

وعلي ذلك تجرأت ووضعت أمام الهند ناموسها القديم أى التضحية بالنفس . لان « صطيا جراه » اى « قوة النفس » التى تقول بها ديانتنا وما يتفرع منها من « عدم التعاون » و « العصيان المدني » ليست كلها شيئا سوي أسماء أخرى لناموس الالم . وأولئك الهنود الذين اكتشفوا ناموس المسالمة فى وسط العنف كانوا أعظم فى العبقرية من نيوطن . وكانوا فى الحرب أعظم من ولنجتون فقد كانوا يعرفون أساليب القتال ولكنهم كفوا عنه وعلموا العالم المتعب أن خلاصه لن يكون بالعنف وانما يكون بالكف عن العنف

والمسألة تعنى فى شكلها الايجابى آلاما محسوسة وليست تعنى الخضوع فى وداعة لارادة الاشرار . انها تعنى ان نجند النفس ضد ارادة الظالم فاذا سرنا على هذا الناموس أمكن الفرد وحده أن يتحدى سلطان الامبرطوارية الظالمة لكي يزكى شرفه وديانته ونفسه ويضع الاساس لهدم هذه الامبرطوارية أو لبنائها من جديد

وعلي هذا لست أدعو الهند الى الكف عن العنف لانها ضعيفة . وانما ارغب اليها فى أن تسير فى خطة المسالمة وهي عارفة قوتها . وهى ليست فى حاجة إلى التدريب الحربي لكى تعرف هذه القوة . وعندنا من يظن اننا فى حاجة الى هذه القوة لانه يعتقد اننا أجسام من اللحم فقط . ولكني أرغب الي الهندى فى ان يعرف ان له نفسا وان هذه النفس لن تهلك . وانها تستطيع أن ترتفع فوق الضعف الجسمى بل تستطيع أن تتحدى القوى المادية فى العالم كله

وانى مع ذلك رجل عملي . ولست انتظر حتى تعرف الهند فائدة الحياة الروحية فى العالم السياسى . فانها ترى نفسها الان ضعيفة مشلولة أمام مدافع الانجليز ودباباتهم وطياراتهم . وهى تنتزع خطة المسالمة من هذا الضعف . وهى

على الرغم من ذلك تحقق الغاية المرجوة ، غاية الخلاص من وقر المظالم الانجليزية اذا مارس هذه الخطة عدد كاف من الامة

وهذه الخطة تختلف من خطة شن فين الارلندية من حيث أنه لا يمكن أن يرافقها عنف . وانى ادعو حتى القائلين بالعنف ان يجربوا هذه الخطة التي لن تفشل لضعف أساسها وأنما تفشل لضعف الاستجابة لها . وهنا يبدو عندئذ الخطر لان الرجل السامي الذى لايطيق هوان الوطن يغضب ويحتدم ويحتاج الى التنفيس فيعمد الى العنف . وهو عندئذ يهلك دون أن يخلص نفسه أو بلاده من المظالم . واذا آمنت الهند بمذهب السيف فان ظفرها لن يكون مقيما دائما ولن أستطيع عندئذ أن أفخر بها لانى اعتقد ان للهند مهمة خاصة فى العالم . وليس عليها أن تحاكى أوربا وتنقل عنها نقلا أعمى . وحين تعتنق الهند مذهب السيف تكون محنتى ، ولن أضعف عندئذ . ولكنى أقول أنه ليس لدياناتي حدود جغرافية . وإيمانى الحى بهذه الديانة يتجاوز حدود الهند . فلقد ارصدت حياتى لخدمة الهند عن طريق الكف عن العنف وهى طريق أرى أنها أساس الديانة الهندوكية

الخوف من الموت

كنت قد أخذت قريباً فى جميع نعوت مختلفة للاستقلال. فمن هذه النعوت أن الاستقلال هو ترك الخوف من الموت . لان الامة التى تجيز لنفسها أن تتأثر من الخوف من الموت لن تنال استقلالها وهي لو نالته لما استطاعت القيام عليه والاحتفاظ به

أن الانجليزي يحمل حياته فى كفه . وكذلك العربي والياباني كل منهما يعد الموت كأنه لا يزيد على ألم من الآلام المعتادة وهو لا يبكى إذا مات له قريب. ونساء البوير لا يعرفن لهذا الخوف معنى . ولقد مات فى الحرب الاخيرة بين البوير والانجليز آلاف من الشبان وترملت آلاف من النساء فلم يبالين ذلك . إذ لم يكن يهمهن قليلا أو كثيراً ان يموت لهم ابن أو زوج لانه كان يكفيهن بان يزيد على كفايتهن أن الامـة برت بشرفها . وما منفعة الزوج اذا أصبحت الامة عبيداً ؟

لقد رأى البوير انه خير لهم ان يدفنوا رفات ابنائهم ويذكروا حياتهم الخالدة من ان ينشأوا فى وسطهم عبيدا . وهكذا راضت الامهات قلوبهن على الصرامة وقدمن ابناءهن فى بشر وابتهاج الى ملك الموت

واولئك الذين ذكرناهم يقتلون غيرهم ويقتلهم غيرهم . ولـكن ماذا نقول فى اولئك الذين لا يقتلون غيرهم وانما يرضون بان يكونوا هم القتلى والضحايا ؟ أن هؤلاء يستحقون اعجاب العالم وحبه . أنهم ملح الارض

لقد حارب الانجليز الالمان وقتل كل منهم الآخر وكانت نتيجة هـذا القتال زيادة العداوات . وزاد القلق وساءت حال أوربا من هذه الحرب وزاد المكر وصارت كل أمة تحتال وتداور الامم الاخرى

ولـكننا عند ما نقول أنه يجب ألا نخاف الموت ندعو الى ما هو أشرف

وأطهر من القتال والحرب وبهذا نؤمل أن نحقق الظفر العظيم فى أقصر وقت

وعند ما نحقق استقلالنا يكون كثير منا قد أقلع عن الخوف من الموت . وإلا فاننا لن نبلغ الاستقلال . والذين ماتوا فى قضية الوطن كانوا الى الآن من الصبيان . ولم يزد عمر واحد من الذين قتلوا فى عليكرة علي ٢١ سنة ولم يعرف أحد أشخاصهم . فان لجأت الحكومة الى الضرب بالرصاص فانى أرجو ان يكون فى الصف الاول من الضحايا الذين يقدمون أنفسهم للموت بعض الرجال

ولماذا نحزن إذا مات بعض الصبيان أو الشبان أو الشيوخ؟ انه لا تمر لحظة على العالم حتى يولد ويموت فيها أناس . وعلينا ان نشعر ببلاهتنا عند ما نفرح بمولود أو نحزن لميت . واولئك الذين يؤمنون بالروح يعرفون ان الروح باق بعد الموت . وليس هناك بين الهندوكيين أو المسلمين أو البارسيين من لا يؤمن بالروح . وأرواح الموتى سواء وأرواح الاحياء . فان الخلق والفساد دائبان لا يفتران . وليس فيهما ما يدعونا الي الفرح أو الحزن . وحتى عند ما نقصر الرحم الانسانية على ابناء أمتنا فقط ونجعل منها أسرة كبيرة ونسأل كم مولود يولد فيها لكي نحتفل به ثم كم ميت فيها يموت لكى نرثيه فاننا نقصر عن البكاء وتجف دموعنا . وحسبنا هذه السلسلة من الخواطر لكى نتخلص من الخوف من الموت

وقد قيل ان الهند بلاد الفلاسفة ولم نرفض نحن قبول هذه التحية . ومع ذلك فانا لا نكاد نعرف أمة أخرى تجزع للموت كما نجزع . ثم فى الهند نفسها ليست طائفة تجزع للموت كما يجزع الهندوكيون. ونحن نطير من الفرح اذا ولد لنا مولود ويشملنا عندئذ طرب سخيف ، فاذا مات ميت تهتكنا فى العويل الصاخب الذي يؤرق الجيران طول الليل ، فاذا كنا نرغب فى الاستقلال واذا كنا نريد بعد تحقيقه أن نحتفظ به فلا بد من ان نجحد هذه العادات و نقلع عنها

ثم ما هو الحبس عند الرجل الذى لا يخشى الموت ؟

إذا تأمل القارىء هذا الموضوع قليلا فانه لا بد واجد أننا اذا لم نحقق

استقلالنا فان عجزنا عن تحقيقه سيعود الى أننا لا نتقبل الموت وماهو أقل من الموت هادئين راضين

وكلما ازداد عدد الابرياء الذين يتلقون الموت بصدورهم ويضحون بأنفسهم كانت تضحيتهم أداة لخلاص الآخرين فتقل الآلام بذلك . وكل ألم نقبله بابتهاج تزول عنه صفته فيستحيل الى فرح مقيم فى النفس . وذلك الرجل الذى يفر من الآلام ويخشاها يبقى فى هم وغم حتى اذا وقعت به ألفته قد أشفى ، من خوف وقوعها ، على الهلاك . ولكن ذلك الذى يعد نفسه فى ابتهاج لقبول أى شيء ينزل به لا يحس ألماً لان ابتهاجه يقوم لديه مقام المخدر

وانما أكتب هذا لانى أرى أننا لا يمكننا أن نحقق استقلالنا إلا اذا كنا على أهبة الموت ننتظره ونقدر وقوعه . ومن استعد وتأهب كان حريا ان ينجو من الحوادث . واعتقادى الراسخ ان التأهب يقتضى اتخاذ القماش الوطني . وإذا نحن نجحنا فى الاقتصار على القماش الوطني فان هذه الحكومة أو أية حكومة غيرها لا يمكنها ان تجرب فينا تجربة أخرى

ولكن مع ذلك يجب ألا نهمل الطوارىء . فان للسلطان سكرة تعمى وتصم حتى لا يقدر الاقوياء ان يروا ما تحت أنوفهم أو يسمعوا ما يطرق آذانهم . ولسنا نعرف إلام تنتهي هذه الحكومة التى أسكرها سلطانها . وعلى ذلك يبدو لى أنه يجب على جميع الوطنيين ان يستعدوا للموت والحبس وما اليهما

والشجعان يلقون الموت وعلى شفاههم الابتسامات . ولكنهم مع ذلك يحترسون . فانه ليس فى هذه الحرب السلمية للاستقلال مكان للرعونة . فانا لا نقترح الموت أو الحبس من أجل غاية تخالف الاخلاق الحسنة ، ولكننا يجب ان نستعد للصعود على المشنقة ونحن نقاوم مظالم الحكومة

كان القديس فرانسس يطوف فى الغابات ولم ينله مع ذلك اذى من الثعابين أو سائر الوحوش بل حدث العكس وهو ان هذه الحيوانات كانت تألفه . والآن فى الهند يعيش آلاف من «الفقراء» واصحاب الطريقة فى غابات هندوستان

بين الاسود والببرة والثعابين فلا نسمع أن واحدا منهم قد قتلته هذه الحيونات واني اؤمن بذلك المذهب الذي يقول بانه مادم الانسان لايعتدى على الحيوان فان هذا لايعتدى عليه أيضاً • واعظم صفات الانسان واجلها هو الحب • وعبادة الله هي هباء مالم يكن الحب اساسها

***

وانما ننشد بالحب ان نقهر غضب الانجليز الحاكين وانصارهم وعلينا ان نحبهم وندعو الله ان يحبوهم بالحكمة لكي يروا مايبدو لنا من اخطائهم . ويجب ان نرضى بأن يقتلونا ولكن يجب الا نقتلهم نحن واذا القوا بنا فى السجون فيجب ان نرضى بهذا الحظ دون ان نحس بالكراهة او نفكر فى الانتقام

المنبوذون فى الهند

إنى أعد وجود المنبوذين فى الهند أكبر وصمة للديانة الهندوكية . وأنا لم أهتد الى هذ الرأى بالاختبارات القاسية التى مرت بي وأنا فى أفريقيا الجنوبية ولا لانى كنت فى بعض أيامي الماضية متشككا فى الدين . وكذلك من الخطأ ان يحسب أحد — كما ظن بعضهم — إنى اكتسبت هذا الرأى من درسى للديانة المسيحية وآدابها . لان الحقيقة ان هذا الرأى يرجع الى ما قبل معرفتى بكتب المسيحية أو الاختلاط بالمسيحيين

لقد كنت فى الثانية عشرة أو دونها حين أضاء ذهنى بهذه الحقيقة . فقد كان يأتى الى بيتنا زبال من المنبوذين يدعى اوكا ينظف المراحيض . وكنت كثيراً ما أسأل أمي لماذا لا يجوز لى أن ألمسه ولماذا أمنع من لمسه ؟ وكنت اذا اتفق لى أن لمسته خطأ يطلب مني أن أتوضأ . وكنت أطيع بالطبع ما يطلب مني ولكنى كنت مع ذلك أعارض فى ابتسام وأقول ان الديانة الهندوكية لا تعرف أحداً منبوذاً وانه من المحال ان نقر هذه الحال . وكنت صبياً مطيعاً أؤدى واجباتي ما دامت تتفق مع احترامى لوالدى . وكثيراً ما كنت أجادلها فى هذه المسألة حتى قلت لامي انها مخطئة كل الخطأ فى الاعتقاد بأنى أذنب عند ما ألمس اوكا

ولما كنت فى المدرسة كنت كثيراً ما ألمس المنبوذين . ولما لم يكن من طبعى ان أكذب على والدى فان أمي كانت عند ما أخبرها بأنى لمست منبوذا تنصح لى بان اخصر طريق لمحو النجاسة التي لحقتني من لمس المنبوذ هى أن المس أى رجل مسلم يلقانى فى الطريق . وكنت اؤدى هذا العمل لا اعتقادا بأنه واجب دينى بل احتراما لاوامر والدتى

ثم انتقلنا بعد ذلك إلى بلدة بوربندر حيث شرعت فى تعلم اللغة السنسكريتية ولم أكن قد التحقت بعد باحدى المدارس الانجليزية . ولذلك كنت أنا وشقيقى

فى كفالة أحد البراهمة الذى علمنا هاتين الادعيتين بالسنسكريتية :

« ان الله كائن فى الماء »

« ان الله كائن فى الارض »

ولم انس واحدة منهما إلى الآن . وكانت امرأة عجوز تقيم بجوارنا . وكنت فى تلك الايام اخشى العفاريت كلما خيم الظلام وانطفأ المصباح . فلما عرفت العجوز بخوفى من الظلام نصحت لى أن اسرد ادعية خاصة تدعي « راماراكشا » فاذا سردتها تبددت الارواح الشريرة . وقد استمعت لنصيحتها وافادنى الاعتقاد فصرت لا أخاف . ولم أعتقد أن فى هذه الادعية أى شىء يمكن أن يفهم منه أن لمس المنبوذين يعد خطيئة . ولم أكن افهم هذه الادعية . أو كنت افهمها فهما ناقصاً ولكنى كنت واثقاً أن هذه الادعيــة التى تصرف الشياطين والعفاريت لم يكن فيها أى شىء يتعلق بالخوف من لمس المنبوذين

وكنا نقرأ أدعية « رامايانا » فى أسرتنا ونواظب على قراءتهـا . وكان يأتي الينا أحد البراهمة ويسردها ، وكان هـذا البرهمى مجذوما ولكنه كان واثقا انه اذا أدام تلاوتها فأنه يبرأ من الجذام والواقع انه برىء من مرضه . وكنت أتساءل فى ذلك الوقت :

« كيف يمكن ان يعد الرجل الذى نعتبره الآن منبوذاً من الانجاس الذين لا يصح لمسهم اذا كانت « رامايانا » تقول ان واحداً منهم قد حمل راما فوق نهر الكونج على زورقة ؟ اذ هل يعقل ان يعد مثل هذا الرجل منبوذاً نجساً؟»

ثم اننا ونحن نصلى نصف الله بأنه « مطهر الانجاس » وهذا يدل على أنه من الخطأ أن نحسب انسانا مولوداً فى الهندوكية من المنبوذين الانجاس . لان هذا الاعتقاد شيطانى . ومن ذلك الوقت وأنا لا أسأم من القول بأن هذا الاعتقاد خطيئة كبرى . ولست أدعى بأن هذه العقيدة قد تبلورت فى نفسى وأنا فى الثانية عشرة ولكنى أقول اني فى تلك السن كنت أعد النجاسة أى

اعتقاد طائفة من الناس بأنهم منبوذون خطيئة . وأنا أذكر هذه القصة لاخوانى الهندوكيين السنيين

وأنا اعتبر نفسى هندوكيا من طائفة « سانانانى » ولست أقصد بذلك أني لا أعرف كتبنا المقدسة القديمة . فانى وان لم أكن عالما باللغة السنسكريتية علما عميقاً فانى قد قرأت هذه الكتب مترجمة واستطيع أن أقول انى وقفت على روحها الصحيح . ولما بلغت الحادية والعشرين من عمرى درست الاديان الاخرى ومرت على اوقات تأرجحت فيها بين الهندوكية والمسيحية . ولكن لما عاد الى توازنى الذهنى شعرت أن خلاصى لايكون إلا عن سبيل الديانة الهندوكية فازددت رسوخا فى الايمان بها كما ازددت نوراً

ولكنى حتى هنا لا أعتقد ان النجاسة أو وجود المنبوذين هو جزء من الديانة الهندوكية

من غاندى الى طاغور

مقتبس من خطاب طويل يرد فيه على تاجورى
الذى استنكر احراق الاقمشة الاجنبية

انى أقول اننا عندما فقدنا المغزل فقدنا رئتنا اليسرى . ولذلك نحن نشكو الآن مرض السل . ولن نستطيع وقف هذا المرض حتى نعيد المغزل . وهناك أشياء يجب على جميع الناس أن يعملوها فى جميع الاقاليم . وهذا المغزل واحد من هذه الاشياء التى يجب علينا جميعا فى الهند أن نستعملها فى طور الانتقال ويجب على كثرة الامة أن تستعملها فى جميع الاوقات

ان الذى أنزل المغزل فى الهند من مكانته السامية هو تعلقنا بالاقمشة الاجنبية ولذلك يجب أن نعد اتخاذ الملابس الاجنبية خطيئة لاننا لا يمكننا أن نفصل بين الاخلاق والاقتصاديات التى تؤذى الامة فى أخلاقها . يجب أن تعد من الخطايا والذنوب . وكذلك أيضا يجب أن نعد الاقتصاديات التى تقول باستغلال أمة لاخرى . ومن الخطيئة أيضا أن نشترى شيئا قد نهك العامل فى صنعه أو بخس فيه حقه . ومن الخطيئة أيضا أن اشترى القمح الامريكي فى حين ان جاري الذى يبيع القمح الهندى لايجد من يشتريه منه كما انى اذنب ذنبا عظيما اذا أنا اشتريت الاقمشة الانجليزية الغالية مع انى أعرف انى لو اشتريت القماش الذى غزله ونسجه عمال هنود فانى استطيع ان اكسو نفسى وا كسوهم ، ولذلك فانه عند مايتحقق لى ذنبى وتفتضح أمام عينى خطيئتى يجب أن اعمد الى ما أملكه من ملابس أجنبية فالقيها فى النار واطهر بذلك نفسى ثم اقنع بعد ذلك بان البس القماش الهندي الذى ينسجه ابناء الهندحولي . واذا لم أجد هنودا يغزلون فانى أرى انه يجب على أنانفسى ان اقوم بالغزل حتى يقتدى بى الناس

ولست أطلب من تاجورى ان يحرق قماشا لا يملكه . أما اذا كان هذا القماش يملكه فقير ليس له غير الاطمار والاسمال فليتركه له . لاني وأنا أحرق ملابسى الاجنبية انما امحو الخزى والعار عن نفسى . ثم لست أريد أن أهين العرايا بان أقدم لهم ملابس أجنبية لايحتاجونها لانهم انما يحتاجون حاجة مرة إلى العمل الذى يكسبون منه العيش . ولست أريد أن ارتكب جناية التصدق عليهم لانى أرى انه بدلا من ان ألقى لهم الفتات والاطمار البالية يجب أن أعطيهم من اطيب طعامي وأحسن ملابسى وذلك بان اشترك معهم فى العمل

ثم لست اذهب إلى الاقتصار على الهند فى وجوب التضحية وعدم التعاون وإنما يمنعني تواضعى من ان اعلن للعالم كله هذا المذهب . ولكن ما الفائدة من اعلانه للعالم اذا لم يثمر فى التربة التى غرس فيها أولا ؟

ان الهند الآن لاتشارك العالم إلا فيما تعانيه من الهوان والفقر والطواعين. فهل يجوز لها ان تبعث بكتبها الدينية إلي العالم اذا كنا نحن لا نعمل بها ونحن ورثتها وحفظتها ؟ ولذلك يجب، قبل أن أفكر فى الاشتراك مع العالم ، ان امتلك شيئا.

وأنا حين اقول بعدم التعاون لااقصد الى الانتعاون مع الانجليز أو مع الغربيين وانما اريد ان نمتنع عن التعاون مع النظام الذى وضعه لنا الانجليز باملاء حضارة مادية ومايرافقها من جشع لاستغلال الضعفاء . ونحن حين نرفض التعاون نتكفىء إلي انفسنا ونعلن للموظفين من الانجليز اننا لن نتعاون معهم على الشروط التى يضعونها هم لنا وكأننا نقول لهم . « هلموا نتعاون على شروط نضعها نحن فيكون لنا ولكم وللعالم كله خير » اذ يجب أن نأبي عليهم أن يجذبونا ويوقفونا على اقدامنا على الرغم منا

ثم لا يمكن الغريق ان ينقذ غيره من الناس. وإذن لكى نستطيع انقاذ الناس يجب أن ننقذ انفسنا أولا . وليست الوطنية الهندية تدعو إلى العداء أو الهدم . وإنما هى وطنية دينية تزيد العالم صحة وانسانية . وعلى الهند أن تتعلم كيف تعيش قبل أن تتعلم كيف تموت للانسانية . وليس للفأر الذى يقع بين مخالب

القط فضل التضحية . وقد دعانا تاجورى دعوة تنبع من سليقته الشعرية وهي ان نعيش للغد ووضع لذلك أمام اعيننا صورة جميلة للطيور التى تبكر فى الصباح فتشدو على أجنحة النسيم . ولكن هذه الطيور نالت نصيبها من الطعام وارتاحت طول ليلها وسرى فى عروقها دم جديد . ولكنى رأيت طيورا وتألمت لرؤيتها لانها كانت ضعيفة خائرة لم أستطع ان اغريها حتى برفرفة جناحيها فقط . تلك هي الطيور الانسانية التى تعيش تحت سماء الهند . فاذا كان الصباح لم تستطع أن تهب من النوم لان الاعياء يثقلها بأكثر مما كانت مثقلة عندما آوت إلى الفراش . وهذه حال تتجاوز الوصف ويجب أن يجربها الانسان لكى يعرفها . ولقد وجدت من المحال ان أسرى عن المرضى آلامهم بأن أغنى لهم القصائد . وملايين الهند انما تطلب قصيدة واحدة من الشعر هى الطعام المقوي ، وهم ليسوا قادرين على أن ينالوه

وانما ينالونه بالعمل الذى نقدمه لهم

لست قديساً ولست سياسياً

أرسل إلى صديق كريم قصاصة من مجلة « إيست أند وست » جاء فيها ما يأتى وصفا لي :

« ذاعت للمستر غاندي شهرة القداسة ولـكن يبدو للمتأمل أن السياسة فيه تغطي على القداسة . فانه يحض الهنود على العمل المباشر . وهذا العمل المباشر لا يؤدى الى الاتحاد · فمن ذلك أنه يدعو الي الاحتفال بذكرى قتلى شهداء جالينواه لاباغ · فهل هذه الذكرى التى تزيد الاسى والمرارة تؤدى الى الوفاق ؟ ثم ألا يمـكننا أن نحتفل بالذكرى باقامة معبد للسلام ومعاونة اليتامي والارامل والصلاة على القتلى الذين لم يعرفوا لماذا قتلوا ؟ ان العالم مكتظ بالسياسيين وأشباههم الذين يسممون الناس بالوطنية · وثمرة هذا التسميم هى الحروب والثارات والمذابح كتلك المذبحة التى حدثت فى جالينوا لاباغ . أليس من الاليق بنا أن نعمل للتآلف الذى قصد اليه الانبياء ، لقد كان يمـكن المستر غاندى أن يؤدى هذه المهمة ولـكن الظروف تدفعه إلى المقاومة وتأليب الجماعات . والوقت لا يزال يتسع أمامه لان يعمل لاتحاد العالم »

وقد نقلت جميع ما فى القصاصة مع ان عادتى أن لا أبالى النقد لشخصى أو لخططى إلا حين أرى التصحيح واجباً أو حين يجب التأكيد للمبادىء التى نعمل لها . ولى غرضان فى نقل هذه القصاصة وذلك أني لا أريد فقط أن أوضح المبادىء التى أدعو لها ولـكنى أريد أيضا أن أثبت احترامي لـكاتب هذه الـكلمات الذى عرفته وأعجبت به فى السنوات الماضية لما تمتاز به أخلاقه من جمال فريد . وهوهنا يأسف لانه يرى أني سياسى ولست قديساً . ولـكنى أرى أن كلمة « قديس » يجب أن تمحى من الفاظنا فى حياتنا الحاضرة . وذلك لان لها من الحرمة ما يجب ان تصان من الابتذال بوصف أحد الناس بها

وخاصة اذا وصفت بها أنا لانى لا أدعي أكثر من أنى أنشد الحقيقة فى تواضع وأنى أعرف حدود طاقتي واقع فى الاخطاء التى اعترف بها وأحاول بالتجارب إصلاحها كما يفعل العالم فى معمله . ولكنى حتى فى هذه التجارب لا أدعى أنى عالم لاني لا أستطيع أن أبرهن على الصحة العلمية للطرق التى اتبعها بل لا أجد النتائج المحسوسة لهذه التجارب · غير أنى وأنا أرفض وصف القديس لشخصى وأخيب بذلك رجاء صديق فى أقول له أيضاً أن السياسة لم تغط على أرائى . وإذا كنت اشترك فى السياسة فذلك لأنها تحوطنا وتتحوى علينا كما يتحوي الثعبان علي فريسته وليس فى مستطاعنا أن نتخلص منها مهما حاولنا . وأنا اذن أجاهد هذا الثعبان منذ سنة ١٨٩٤ إلى الان وأصيب منه بعض النجاح قليلا أو كثيراً . ومن قبل ذلك جاهدته منذ أن بلغت سن الرشد

وأنى لما فطرت عليه من أنانية اجرب التجارب لكى اعيش فى سلام فى وسط يعصف بالزوابع بادخال الدين فى السياسة . وانى لا اعنى بالدين هذه الديانة الهندوكية بل اعنى به ما يتجاوز الهندوكية وما يستطيع ان يبدل الطبيعة البشرية نفسها ويقيد الانسان بالحق ويدأب فى تطهيره . وهذا الدين هو النصر المقيم فى الطبيعة البشرية وهو الذى لا يبالى ما يلاقيه الانسان فى سبيل الاداء عما فى نفسه وهو الذى يجعل النفس قلقة حتى تسكن إلى الحق وتعرف خالقها وعلاقتها به

وهذا الروح الدينى هو الذى أوحي الى خططى . . ولم أحد عن هذه الخطط حين اقترحت الاحتفال بذكرى جالينوا الاباغ . ولكن الكاتب ينسب الى غرضاً لم يخطر معناه ببالي حين قال إني أريد « الاحتفال بذكرى قتل الشهداء » إذ ليس شيء ابعد عن ذهنى من ذكري هذه الفعلة السوداء . وانما اعتقد اننا سنرى تكرار هذه المأساة فى المستقبل قبل ان نحقق غايتنا ولذلك ينبغي تهيئة اذهان الامة لمثل هذه المأساة بالاحتفال بذكرى الابرياء

الذين قتلوا فيها . ونحن نعاون الارامل والايتام ولـكن ليس فى مستطاعنا « الصلاة على القتلى الذين لم يعرفوا لماذا قتلوا » إذا لم تمتلك الارض التى تقدست بالدم البرىء ونقيم عليها نصبا تذكاريا للقتلى . وليس الغرض من هذا النصب تذكير الناس بفعله شنعاء ولـكن الغرض هو تشجيع افراد الامة على انه خير لهم ان يموتوا وهم عزل ليس بهم من قدرة على رد الظلم من ان يكونوا هم انفسهم ظلمة جائرين . وانى اود لو تعرف الاجيال القادمة اننا نحن الذين رأينا الابرياء يقتلون لم نرفض ان نذكرهم او ننكر عليهم جميلهم . ولقد تبرعت السيدة جينا بمبلغ صغير لاقامة هذا النصب التذكاري وقالت وهي تقدمه ان الاحتفال بذكرى هؤلاء الشهداء يقيم لنا على الاقل عذرا نعتذر به عن العيش فى هذه الدنيا

ثم ان الكاتب يقول عنى انى اعمل « لتأليب الجماعات » بدلا من ان اعمل « لاتحاد العالم » وقد سبق ان قلت له ونحن تحت سقف واحد اني اومن بمذهب العالمية اكثر منه . ومازلت على هذا المذهب وارى انه لولا تأليب الجماعات لما امكن اتحاد العالم

بعض آراء غاندى

فيما يلي بعض آراء لغاندى لا تحتاج الى تعليق أو شرح عند الذين عرفوا أغراضه ، ولكنها تنير هذه الاغراض

***

يقول لي بعض الناس اننا نعيش الآن فى عصر الآلات نخيط بآلة الخياطة ونكتب بالمكتاب وان من الجنون أن نفكر فى أحياء المغزل ، ولكنهم ينسون اننا مازلنا نستعمل الابرة الى جانب آلة الخياطة واننا مازلنا نكتب بالقلم الي جانب المكتاب . وليس هناك أى سبب يمنع من بقاء المغزل اليدوى الى جانب مصانع الغزل الكبيرة ، كما أن مطابخ البيوت لا تزال باقية الي جانب المطاعم الكبرى . بل يمكن أن تزول آلة الخياطة والمكتاب أما الابرة والقلم فلن يزولا

***

إنما يقاس النظام فى احدى الامم بانتفاء القحط من بين عامتها وليس بعدد الاغنياء الذين يملكون الملايين فيها

***

الطب هو لباب السحر . والتدجيل خير الفمرة مما نسميه الآن فى مهارة طبية عاليـة

***

نحن نكابد هذه الايام وهما قاتلا حين نعتقد ان المرض لا يبرأ إلا بالعقاقير . والى هذا الاعتقاد يعزي كثير من الشرور فى العالم . وبدهي انه يجب ان نعمل لشفاء المرض ولكن يجب ان نعرف أن العقاقير لا تشفى الامراض وليست العقاقير غير مفيدة فقط بل هي احيانا تضر ، وذلك المريض الذى يتناول الادوية والعقاقير انما يخطىء كما يخطىء ذلك الذى يغطى الزبالة التى تتجمع فى المنزل

ويسترها عن العين بدلا من ان يزيلها . والمرض هو انذار الطبيعة لنا بان أقذارنا قد تجمعت فى الجسم ومن الحكمة إذن ان نتيح للطبيعة الفرصة لازالة هذه الاقذار بدلا من ان نغطيها بطريق العقاقير ، وأولئك الذين يتناولون العقاقير يزيدون المصاعب أمام الطبيعة فى الشفاء

***

لسنا فى حاجة الى أن نتعلم من الاجانب . فان فى أدواتنا القديمة من المحراث والمغزل، ما يكفينا سعادة وحكمة وعلينا أن نعود رويداً رويداً إلى هذه السذاجة القديمة . وعلى كل منا ان يكون قدوة حسنة فى هذا العمل

***

إنى أجد فى دينى كل ما احتاج اليه للتكشف الداخلى لان ديني هذا يعلمني الصلاة . ولكنى أصلى أيضاً حتى يجد كل انسان تكشفه الداخلى فى دينه وحتى يرقي المسيحى فى دائرة دينه فيصير كل منهما أصلح مما كان . واني واثق ان الله سوف يسألنا عن حقيقتنا وعن أعمالنا ولن يسألنا عن الاسم الذى تسمى به هذه الحقيقة أو هذه الاعمال

* * *

لست أستطيع أن أصف شعورى نحو الديانة الهندوكية الا بانه يشبه شعورى نحو زوجتى . فانها تحركنى بأقوى مما يمكن أية أمرأة أخرى فى العالم أن تحركنى وليس ذلك لأنها بريئة من الاخطاء بل يمكن أن أقول أن أخطاءها تزيد على ما أعرفه منها . ولكنى أشعر أن بينى وبينها رابطة لاتحل. وهذا أيضاً هو شعوري نحو الديانة الهندوكية مع كل ما فيها من اخطاء . واني أعرف الرذائل الفاشية فى المعابد الهندية الآن ولكنى أحبها على الرغم من هذه الرذائل . وأنا راغب أشد الرغبة فى الاصلاح ولكن حماستى لن تخرجنى عن حظيرة الايمان بالاصول الدينية فى الهندوكية

***

الحقيقة الاساسية للديانة الهندوكية هى حماية البقرة . وعندى أن حماية البقرة هو أعجب الظواهر فى التطور البشرى ، لان البقرة تمثل جميع الاحياء التى دون الانسان . ونحن بهذه الحماية مكلفون بأن نرى أن حياتنا وحياة الحيوان سواء ، والسبب فى اختيار البقرة للتأليه فى الهند واضح لانها رفيقة الانسان تدر عليه الخير ولم تقتصر على اعطائنا اللبن بل هى التى جعلت الزراعة ممكنة والبقرة هي قصيدة من الرحمة . فاننا نقرأ الرحمة فى هذا الحيوان الاخرس مما خلقه الله . وحق هذه المرتبة الدنيا من المخلوقات علينا عظيم لانها خرساء . وحماية البقرة هي الهبة التى وهبتها الهندوكية للعالم . وستعيش الهندوكية مادام هناك من يحمي البقرة

